

دراسات تاريخية في زلازل البلدان العربية



د. خالد يونس الخالدي

2012



المقدمة:

للزلازل في حياة الإنسان وحضارته كبير الأثر، فكم أفنت من البشر، وكم دمرت من مدنٍ في لمح البصر، فلم تبق منها ولم تذر، وما تزال وسوف تبقى من أشد أنواع الخطر.

ومع ذلك فقد أهمل الباحثون المعاصرون دراسة تاريخ الزلازل، وخصوصاً في بلدان الدولة العربية الإسلامية.

ولقد عازمت على الخوض في هذا الموضوع منذ عشر سنوات، وتمكنت بفضل الله تعالى خلال هذه المدة الطويلة من إنجاز سبعة بحوث علمية محكمة، غطت تاريخ الزلازل في معظم أقطار الدولة العربية الإسلامية، وقد نشرتها في عدد من المجالات العربية المحكمة.

ولكي يتمكن القارئ العربي الكريم من التعرف على تاريخ الزلازل في وطننا العربي الكبير أحببت أن أجمع هذه البحوث في كتاب يضمها. وقد أقدمت على البحث في تاريخ الزلازل في المنطقة العربية لأسباب عدة أهمها:

1. ندرة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، إذ لم أجد عنه أية دراسة تاريخية.

2. الأثر الكبير الذي لعبته الزلازل في حياة وحضارة السكان في الأقطار العربية.

3. اهتمام بعض المؤرخين الأوائل بالتاريخ للزلازل في الدولة العربية الإسلامية، وتقديم تفاصيل مهمة عن صفتها وآثارها، وتناثر هذه المعلومات وتبعثرها في بطون الكتب، وضرورة جمعها وإخراجها في دراسات تعالج الموضوع في كل قطر على حدة.

4. إن الزلازل ما تزال وسوف تبقى تهدد حياة وحضارة السكان في منطقتنا العربية والإسلامية.

5. أملاً في تسجيل معلومات عن كل الزلازل التي ضربت البلدان العربية وتقديمها إلى العلماء والباحثين المتخصصين في مجال الزلازل، لكي يفيدوا منها في تطوير هذا العلم، ويتعرفوا على طبيعة الأرض التي يدرسونها، ويتمكنوا من التنبؤ بموعد الزلزلة قبل وقوعها، إذ تحدث بعض المؤرخين المسلمين عن ظواهر طبيعية حدثت قبيل الزلزلة في بعض الأحيان.

6. إطلاع المهندسين على ما أحدثته الزلازل من تدمير في المباني، وخسائر في الأرواح عبر ثلاثة عشر قرناً من الزمان، لكي يتعرفوا على طبيعة الأرض في البلدان العربية، ويتعلموا من خلال تاريخ الزلازل وآثارها، كيف يقيمون أبنية تقاوم الزلازل.

ويتلخص منهجي في هذه البحوث في النقاط الآتية:

1. اعتماد المنهج الوصفي الذي يقوم على تقديم المعلومات مثلما قدمها لنا المؤرخون الأوائل، وذلك ثقة بقدرة مؤرخينا على تقديم وصف دقيق لمشاهداتهم، ولأن موضوع الزلازل بعيد عن التأثير بميول وأهواء المؤرخين، ولا مجال فيه للدعاء والكذب، ورغبة في وصول هذه المعلومات كاملة إلى العلماء والمتخصصين. وقد أكثرنا من ذكر النصوص التي قالها المؤرخون الأوائل، حتى لا يؤدي اختصارها وكتابتها بأسلوبنا المعاصر إلى ضياع معلومات قد تهملها العلماء والباحثين في مجال الزلازل.

2. البعد عن الاستنتاج والاستنباط والتفسير فيما يتعلق بالأمور العلمية الخاصة بعلم الزلازل، وترك ذلك لجهود العلماء المتخصصين، والاكتفاء بتقديم كل المعلومات التي توفرت عن الزلازل في كتب المؤرخين، وعرضها بصورة

منظمة ودقيقة وشاملة، تخدم المهتمين والباحثين المتخصصين في مجال الزلازل.

3. تسجيل المعلومات عن الزلازل حسب تسلسلها الزمني، بادئاً بالأقدم، وفق ما قدّمته مصادرنا من معلومات.

4. تسجيل كل المعلومات الواردة عن الزلزلة وآثارها في القطر محل البحث، مع إضافة أسماء المناطق والأقطار التي ضربتها الزلزلة نفسها وفي الوقت نفسه خارج ذلك القطر، وأهم المعلومات المتوفرة عن آثارها في تلك المناطق، وذلك من أجل دراسات علمية أكثر دقة عن الزلازل في الأقطار العربية والإسلامية.

د. خالد يونس الخالدي

فلسطين - غزة

2012-3-27م

زلازل جزيرة العرب في المصادر الإسلامية¹

(منذ القرن الأول حتى القرن الحادي عشر الهجري/القرن السابع
حتى القرن السابع عشر الميلادي)

¹ - بحث محكم ومنشور في مجلة الجامعة الإسلامية- سلسلة الدراسات الإنسانية- المجلد السابع عشر - العدد الأول-يناير-2009م.

ملخص باللغة العربية:

هدفت هذه الدراسة إلى جمع فدراسة وتنظيم المعلومات الواردة في مصادرنا الإسلامية عن الزلازل التي هزت أرض جزيرة العرب منذ القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، حتى القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وقد فتشت في المئات من مصادرنا التاريخية والأدبية والجغرافية والدينية وكتب الرحلات والتراجم، إلى أن حصلت على مادة مهمة عن الموضوع أوردتها في الدراسة، حيث تبين أن عدد الزلازل التي ضربت جزيرة العرب وسجلتها مصادرنا بلغ إحدى وعشرين زلزلة، وأن أولى هذه الزلازل كان في سنة (5هـ=627م)، وأن آخرها كان في سنة (1090 هـ=1679م)، وأن الزلازل في جزيرة العرب كانت قليلة وخفيفة غير مسببة لخسائر بشرية ومادية كبيرة، مقارنة بتلك التي ضربت إيران والشام في مدة الدراسة، وأن بعض زلازل جزيرة العرب قد صاحبها براكين هائلة، لكنها لم تسبب خسائر بشرية ومادية كبيرة، لأنها حدثت في أماكن جبلية خالية من السكان والعمران، وأن علماء المسلمين أكدوا أن زلزال سنة (654 هـ=1256م) الذي صاحبه بركان كبير هو الذي تنبأ به النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما قال: "لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى"، وأن سكان جزيرة العرب كانوا يخافون من الزلازل، وينظرون إليها بأنها عقاب من الله تعالى على كثرة ذنوبهم، فيلجأون إليه سبحانه بالذكر والاستغفار ورد المظالم والإقلاع عن الذنوب، وأن العلماء والشعراء كانوا يتأثرون بالزلازل ويتفاعلون معها، فيربطها العلماء بالمعاصي والذنوب، وبأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ويصفها الشعراء بقصائد طويلة.

Abstract:

This research aims to collect study and document the data mentioned in the Islamic sources regarding the earthquakes that hit the Arab peninsula between the seventh and the seventeenth century A.D. Hundreds of historic, literal, geographic and religious sources have been explored in addition to many travel diaries and translations. This has led to very important findings which are documented in this research as it turned out that the number of earthquakes that hit the Arab peninsula in the period of interest were twenty one. The first earthquake occurred in (627A.D=45 H) while the last one took place in (=1090H). It is also understood that earthquakes in the Arab peninsula were quite rare and weak causing very few casualties or damages compared with those occurred in Persia and Greater Syria during the same era. However, some of the earthquakes were accompanied by huge volcanoes, but again causing very few casualties or damages since it occurred mostly at uninhabited locations. It is also worth mentioning that the Islamic scholars agreed that the earthquake that took place in (654 H.) and was accompanied by a large volcano fulfils the prophecy of the prophet Muhammad depicted in the *Hadith* which says: (The Day of Judgment will not come till a fire erupts in the land of *Hijaz* which lights up camel necks in Busra). It has also been documented that the Arab peninsula inhabitants used to fear earthquakes and associate them with anger from God Almighty for their increasing sins and therefore seek refuge to God by praying, asking for forgiveness and giving up on sinful deeds. Scholars and poets too were strongly affected by earthquakes as scholars used to associate them with sins and evil deeds while poets mentioning them in long poems.

البحث:

إن أول زلزلة ضربت جزيرة العرب في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي وسجلتها مصادرنا الإسلامية كانت في (ذي الحجة - سنة 5هـ = إبريل - 627م) بالمدينة المنورة¹، ويبدو أنها كانت خفيفة، حيث لم تذكر مصادرنا أنها تسببت في أية خسائر، وكان تعليق النبي -صلى الله عليه وسلم عليها- قوله: "إن ربكم يستعتبكم؛ فأعتبوه"².

أما الزلزلة الثانية فكانت سنة (20 هـ = 640م) في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد عدها عقاباً للناس على ذنوبهم، حيث علق عليها فقال: "أيها الناس ما أسرع ما أحدثتم! لئن عادت؛ لا أساكنكم فيها"³، ولدينا رواية بينت أنه قام في الناس خطيباً، "فحمد الله وأثنى عليه، والأرض ترجف، ثم ضربها بالدرة وقال: "أقري ألم أعدل عليك؟! ؛ فاستقرت من وقتها"⁴.

وتعرضت مكة إلى زلزلة في خلافة عمر بن الخطاب، لكن صاحب هذا الخبر لم يحدد تاريخ حدوث تلك الزلزلة، وقد علق عمر عليها فقال: "انظروا

¹ - ابن الجوزي، المنتظم، ج3، ص240.

² - ابن حجر، تلخيص الحبير، ج2، ص94.

³ - ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص295.

⁴ - السبكي، طبقات، ج2، ص324.

ماذا تعملون، فإنها مكة؟، لئن أعمل عشر خطايا بركبة¹ أحب إليّ من أن أعمل بمكة خطيئة واحدة².

وفي سنة (108هـ = 726م) تعرضت المدينة لزلزال أدى إلى سقوط مسجد الربذة على محمد بن كعب³ وعدد من جلسائه العلماء في التفسير، المجتمعين فيه، فماتوا جميعاً تحته⁴.

وفي سنة (212هـ = 827م) هزت (اليمن) زلزلة شديدة، كان أشدها (بعدن)، فتهدمت المنازل وخربت القرى؛ وهلك فيها خلق كثير⁵.

وفي سنة (241هـ = 855م) "حصلت زلازل، وغارت عيون مكة؛ فأرسل المتوكل مائة ألف دينار ذهباً لإجراء عين عرفات، فصرفت فيها إلى أن جرت"⁶.

¹ - ركة: بضم أوله على لفظ ركة الساق قال الزبير: ركة لبني ضمرة كانوا يجلسون إليها في الصيف ويغورون إلى (تهامة) في الشتاء بذات نكيف، وقال أبو داود في كتاب الشهادات ركة موضع (بالطائف)، قال غيره على طريق الناس من مكة إلى الطائف، وروى مالك في (الموطأ) أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: "لبيت بركة أحب إلي من عشرة أبيات بالشام. البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص669.

² - الفاكهي، أخبار مكة، ج2، ص268.

³ - هو: محمد بن كعب بن حبان بن سليم بن أسد القرظي من حلفاء الأوس يكنى (أبا حمزة)، مات سنة ثمان ومائة، كان يقص فسقط عليه وعلى أصحابه مسجد فقتلهم

⁴ - ابن عساكر، تاريخ، ج55، ص149؛ المزي، تهذيب، ج26، ص346؛ الذهبي، سير، ج5، ص66؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج1، ص134-136.

⁵ - ابن الأثير، الكامل، ج5، ص488.

⁶ - م. ن، ج3، ص465.

وفي سنة (242هـ = 856م) وقعت زلازل وخسف في اليمن، ولم تتوفر معلومات عن قوة تلك الزلازل ولا عن الخسائر التي نجمت عنها، لكن وقوع الخسف مؤشر على قوتها¹.

وفي سنة (259هـ = 872م) "نال أهل البادية زلازل ورياح وظلمة ممن كان حول المدينة من بني سليم وبني هلال وغيرهم من بطون قيس وسائر أهل البلد؛ فهربوا إلى المدينة وإلى مكة يستجيرون بقبر رسول الله وبالكعبة... وذكروا أنه هلك منهم خلق عظيم في البادية"².

وفي (جمادى الأولى سنة 460هـ = 1067م) ضربت زلزلة المدينة المنورة، فألحقت أضراراً بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ووصلت إلى وادي الصفر وخيبر، وعن تفاصيلها والمناطق التي أثرت فيها روى ابن كثير نقلاً عن ابن الجوزي قائلاً: "في جمادى الأولى كانت زلزلة بأرض فلسطين أهلكت بلد الرملة ورمت شراريف من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولحقت وادي الصفر وخيبر، وانشقت الأرض عن كنوز كثيرة من المال، وبلغ حسها إلى الرحبة والكوفة، وجاء كتاب بعض التجار فيه ذكر تلك الزلزلة، وذكر فيه أنها خسفت الرملة جميعاً، حتى لم يسلم منها إلا داران فقط، وهلك منها خمسة عشر ألف نسمة، وانشقت صخرة بيت المقدس، ثم عادت فالتأمت، وغار البحر مسيرة يوم، وساخ في الأرض، وظهر في مكان الماء أشياء من جواهر وغيرها، ودخل الناس في أرضه يلتقطون، فرجع عليهم فأهلك كثيراً منهم أو أكثرهم"³.

¹ - الطبري، تاريخ، ج5، ص325؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص126، 10.

² - اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص511.

³ - ابن كثير، البداية، ج2، ص96؛ ينظر: مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ج1، ص304؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج3، ص308.

وزلزلت الحجاز في سنة (515هـ = 1121م) " وفيها تضعض الركن اليماني من البيت الحرام [زاده الله شرفاً] من زلزلة، وانهدم بعضه، وتشعث بعض حرم النبي، وتشعث غيره من البلاد، وكان بالموصل كثير منها¹.

وفي سنة (533هـ = 1138م) وقعت " زلزلة عظيمة أهلكت مائتي ألف وثلاثين ألف إنسان... كانت بالدنيا كلها، وإنما كانت بحلب أعظم، جاءت ثمانين مرة، ورمت أسوار وأبراج القلعة، وهرب أهل البلد إلى ظاهرها²، وقيل إن عدد القتلى بلغ مائة وثلاثين ألفاً³. وبالرغم من عدم وجود نص يتحدث عن وصولها إلى جزيرة العرب، إلا أنه من المؤكد أنها قد وصلت، لأن جميع من تحدثوا عنها أكدوا أنها وصلت إلى الدنيا كلها تعبيراً عن سعة انتشارها. لكن من الواضح أنها كانت فيها خفيفة، ولم تتسبب في خسائر تذكر لأن مركزها كان في مدينة جنزة⁴ التي خسف بها، وفي حلب التي هزتها نحو ثمانين مرة ورمت أسوارها وأبراج قلعتها⁵.

وفي (3 جمادى الآخرة سنة 654هـ = 28-يونيو-1256م) هزت المدينة المنورة زلزلة عظيمة أسهب في وصفها المؤرخون⁶، وقد نقل ابن كثير تفاصيلها عن كتب المعاصرين لها فقال: " لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ظهر بالمدينة النبوية دوي عظيم، ثم زلزلة

¹ - ابن الأثير، الكامل، ج9، ص211.

² - ابن تغري بردي، النجوم، ج5، ص264.

³ - الياقعي، مرآة الجنان، ج3، ص260.

⁴ - جنزة: بالفتح اسم أعظم مدينة بإيران وهي بين شروان وأذربيجان وهي التي تسميها العامة كنج، بينها وبين بردعة ستة عشر فرسخاً خرج منها جماعة من أهل العلم. ياقوت، معجم، ج2، ص171.

⁵ - ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص171؛ ج7، ص16-19؛

⁶ - السبكي، طبقات، ج8، ص266، 267؛ العاصمي، سمط النجوم، ج3، ص517-518.

عظيمة رجفت منها الأرض والحيطان والسقوف والأخشاب والأبواب ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكور، ثم ظهرت نار عظيمة في الحرة قريبة من قريظة، نبصرها من دورنا من داخل المدينة كأنها عندنا، وهي نار عظيمة، إشعالها أكثر من ثلاث منارات، وقد سالت أودية بالنار إلى وادي شظا مسيل الماء، وقد مدت مسيل شظا وما عاد يسيل، والله لقد طلعا جماعة نبصرها فإذا الجبال تسيل نيرانا، وقد سدت الحرة طريق الحاج العراقي، فسارت إلى أن وصلت إلى الحرة، فوقفت بعد ما أشفقنا أن تجيء إلينا، ورجعت تسيل في الشرق، فخرج من وسطها سهود وجبال نيران تأكل الحجارة، فيها أنموذج عما أخبر الله تعالى في كتابه، إنها ترمي بشرر كالقصر، كأنه جمالة صفر... وهي بموضع يقال له أجيلين وقد سال من هذه النار واد يكون مقداره أربعة فراسخ، وعرضه أربعة أميال، وعمقه قامة ونصف، وهي تجري على وجه الأرض، وتخرج منها أمهاد وجبال صغار تسير على الأرض، وهو صخر يذوب حتى يبقى مثل الآتك، فإذا جمد؛ صار أسود، وقبل الجمود لونه أحمر¹.

وقد أخافت نيران البركان الناتج عن الزلزلة أهل المدينة، وقد عبر عن ذلك الخوف قاضي المدينة سنان بن نميلة الحسيني، حيث كتب إلى بعض أصحابه قائلاً: "وأشفقنا منها، وخفنا خوفاً عظيماً، وطلعت إلى الأمير وكلمته وقلت: قد أحاط بنا العذاب، ارجع إلى الله؛ فأعتق كل مماليكه، ورد على جماعة أموالهم، فلما فعل هذا قلت له: اهبط الساعة معنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فهبط وبتنا ليلة السبت، والناس جميعهم والنسوان وأولادهم وما بقي أحد لا في النخيل ولا في المدينة إلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم... والمدينة قد تاب جميع أهلها ولا بقي يسمع فيها رباب ولا دف... وقد حصل بسبب هذه النار

¹ - العاصمي، سبط النجوم، ج3، ص517-518؛ ج7، ص16-19.

إقلاع عن المعاصي، والتقرب إلى الله تعالى بالطاعات، وخرج أمير المدينة عن مظالم كثيرة¹.

وقد عد علماء المسلمين تلك النار الناجمة عن الزلزال من دلائل النبوة، إذ أنها صادقت قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى"²، ومن أولئك ابن كثير الذي قال في معرض حديثه عنها: "فيها كان ظهور النار من أرض الحجاز التي أضاعت لها أعناق الإبل ببصرى، كما نطق بذلك الحديث المتفق عليه... وهذا محرر في كتاب دلائل النبوة"³، "وقد حكى غير واحد ممن كان ببصرى في الليل، ورأى أعناق الإبل في ضوئها"⁴، وقد ذكر قاضي القضاة صدر الدين علي بن أبي القاسم التميمي الحنفي الحاكم بدمشق، أنه سمع رجلاً من الأعراب يخبر والده ببصرى أنهم في تلك الليالي رأوا أعناق الإبل في ضوء تلك النار التي ظهرت في أرض الحجاز⁵، وكتب محمود بن يوسف بن الأمعاني شيخ حرم المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام قائلاً: "إن هذه النار التي ظهرت بالحجاز آية عظيمة، وإشارة صحيحة دالة على اقتراب الساعة، فالسعيد من انتهاز الفرصة قبل الموت، وتدارك أمره بإصلاح حاله مع الله عز وجل قبل الموت، وهذه النار في أرض ذات حجر لا شجر فيها ولا نبت، وهي تأكل

¹ - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص18.

* بصرى: من أعمال دمشق وهي قصبة (كورة حوران) مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً ياقوت/معجم، ج1، ص441.

² - البخاري، صحيح، ج6، ص2605.

³ - ابن كثير، البداية، ج13، ص187.

⁴ - السيوطي، تاريخ، ج1، ص466؛ ينظر: السبكي، طبقات، ج8، ص267.

⁵ - ابن كثير، البداية، ص13، ص191.

بعضها بعضاً؛ إن لم تجد ما تأكله، وهي تحرق الحجارة وتذيبها حتى تعود كالطين المبلول، ثم يضربه الهواء حتى يعود كخبث الحديد الذي يخرج من الكير، فالله يجعلها عبرة للمسلمين، ورحمة للعالمين، بمحمد وآله الطاهرين¹ وقد تفاعل بعض الشعراء المعاصرين مع ذلك الحدث، فعبروا عن تفاعلهم معه من خلال قصائد نظموها، حيث قال أحدهم:

يا كاشف الضر صفحاً عن جرائمنا فقد أحاطت بنا يا رب بأساء
نشكو إليك خطوباً لا نطيق لها حملاً ونحن بها حقاً أحقاً
زلازل تخشع الصم الصلاد لها وكيف تقوى على الزلزال صماء؟!
أقام سبعاً يرج الأرض؛ فأنصدت عن منظر منه عين الشمس عشواء
بحر من النار تجري فوقه سفن من الهضاب لها في الأرض إرساء
يرى لها شرر كالقصر طائشة كأنها ديمة تتصب هطلاً
تنشق منها قلوب الصخر؛ إن زفرت رعباً وترعد مثل الشهب أضواء
منها تكاثف في الجو الدخان إلى أن عادت الشمس منه وهي دهماء
قد أثرت سعة في البدر لفحتها فليللة التم بعد النور ليلاء
فيالها آية من معجزات رسول الله يعقلها أقوام ألباء²
وقال آخر واصفاً ما جرى في الحجاز من نار، وما حدث في بغداد من غرق في السنة نفسها:

سبحان من أصبحت مشيئته جارية في الورى بمقدار
أغرق بغداد بالمياه كما أحرق أرض الحجاز بالنار³
وقال أبو شامة معلقاً على هذين البيتين: والصواب أن يقال:

¹ - م.ن، ج13، ص192.

² - ابن كثير، البداية والنهاية ج6، ص254.

³ - م.ن، ج6، ص254.

في سنة أغرق العراق وقد أحرق أرض الحجاز بالنار¹
وفي (17/محرم/886هـ = 18-مارس-1481م) كانت بمكة زلزلة هائلة لم
يسمع بمثها².

وفي سنة(908هـ = 1502م) "حصل بمدينة عدن زلازل عظيمة
تواترت ليلاً ونهاراً ووقع بها حريق عظيم احترقت فيه دور كثيرة بلغ عدتها
تسعمائة بيت وذهب من الأموال والأنفس ما لا يعلمه إلا الله تعالى"³.

وفي سنة(910هـ = 1504م) "حصل بمدينة زبيد* زلزلة عظيمة
وزلزلت تلك الليلة مدينة زيلع** زلزلاً عظيماً شديداً أوقع بعض بيوتها وخرج
أهل البيوت إلى الساحل، ولم يرجعوا إلى منازلهم إلا صباحاً ولا حول ولا قوة
إلا بالله، وفيها انقض كوكب عظيم وقت العشاء من اليمن في الشام عرض مدينة
زبيد، وتشظى منه شظايا عظيمة، ثم حصلت بعده هزة عظيمة ولا حول ولا قوة
إلا بالله"⁴، وعن تلك الزلزلة يقول صاحب شذرات الذهب: "فيها حصل بمدينة

¹ - م.ن، ج13، 192.

² - ابن العماد، شذرات، ج7، ص344.

³ - م.ن، ج8، ص36.

*- زبيد: مدينة عظيمة باليمن بينها وبين صنعاء أربعون فرسخاً، وليس باليمن بعد صنعاء
أكبر منها، ولا أغنى من أهلها، واسعة البساتين كثيرة المياه والفواكه ابن بطوطة، رحلة ابن
بطوطة، ج1، ص 272 .

** - زيلع: من جزائر اليمن، جزيرة زيلع فيها سوق يجلب إليه المعزى من بلاد الحبشة
فتشتري جلودها ويرمى بأكثر مسائحتها في البحر، وزيلع بالعين المهملة قرية على ساحل
البحر من ناحية الحبشة. ياقوت/معجم، ج3، ص164.

⁴ - العيدروسي، النور السافر، ج1، ص50.

زبيد ومدينة زيلع زلزاله عظيمة شديدة هائلة، وقع منها دور، وخرج أهل زيلع إلى الصحراء خوفاً¹.

وفي سنة (916هـ = 1510م) زلزلت مدينة زبيد زلزالاً شديداً، ثم زلزلت مرة أخرى، ثم زلزلت الثالثة، وانقض في عصر ذلك اليوم كوكب عظيم من جهة الشرق أخذاً في جهة الشام ورؤي نهاراً، وحصل عقبه رجفة عظيمة كالرعد الشديد، وزلزلت مدينة موزع* ونواحيها زلزالاً عظيماً ما سمع بمثله، واستمرت تتردد ليلاً ونهاراً زلازل صغار وزلازل كبار، وقد أضرت بأهل الجهة إضراراً عظيماً، حتى تصدعت البيوت الضعيفة البناء، وما سلم بيت من تشعب، وتشقق الأرض المعدة للزراعة، وتهدمت القبور واختلطت جملة من الآبار².

وفي سنة (996هـ = 1587م) وقعت الزلزلة بالمدينة الشريفة فقال بعض الفضلاء من أهل مكة في ذلك:

إذا زلزلت أرض خير الورى	فزلزلت الأرض زلزالها
فشمر عن ساقه عارف وقال	عني ذوو النهى مالها ³

وفي (شهر ذي الحجة-1056هـ = يناير-1647م) وقعت زلزلة بصنعاء وغيرها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً، ولم تتوفر معلومات عن قوتها

¹ - ابن العماد، شذرات، ج8، ص44.

* - موزع: موضع باليمن وهو المنزل السادس لحاج عدن، وهي من مدن تهائم اليمن. ياقوت، معجم، ج5، ص221.

² - العيدروسي، النور السافر، ج1، ص88؛ ينظر: ابن العماد، شذرات، ج8، ص73.

³ - العيدروسي، النور السافر، ج1، ص395.

والخسائر الناجمة عنها، والمرجح أنها كانت خفيفة، إذ لو كانت قوية وتسببت في خسائر لذكرها المؤرخ وما أغفلها¹.

وفي (جمادى الأولى 1077هـ = أكتوبر-1666م) "اتفق بصنعاء وقت الضحى زلزلة ورجفات"².

وفي الساعة الرابعة من ليلة الأحد (18-رمضان-1077هـ = 13-مارس-1667م) "رجفت الأرض، وانشقت لها بعض البيوت، وانتبه النيام، وصاح من في قلبه رقة، وعمت أكثر البلاد اليمنية، وفي بعض الملاحم المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن الرجفتين المذكورتين في شهر جمادى الماضي وهذا شهر رمضان علامة لشدة البرد وغلاء السعر وقلة المطر، وقد اتفق ذلك كله"³.

وفي وقت السحر ليلة (3-شوال-1086هـ = 20-ديسمبر-1675م) "كان بصنعاء وغيرها زلزلة عظيمة أيقظت النائم وتبعها مثلها"⁴.

وفي (شوال-1086هـ = ديسمبر-1675م) أيضاً ضربت الزلازل والرجفات بضوران*، وفي بعضها انشق أكثر البيوت، منها دار الحصين حتى تناثرت الحجارة من جبل ضوران، وامتدت الرجة إلى صنعاء، وكان دوامها

¹ - الصنعائي، تاريخ اليمن، ج1، ص118.

² - م.ن، ج1، ص216.

³ - م.ن، ج1، ص224.

⁴ - الصنعائي، تاريخ اليمن، ج1، ص320.

*- ضوران: من حصون اليمن لبني الهرش، وضوران اسم جبل هذه الناحية وسميت بهياقوت، معجم، ج3، ص464.

** - معبر: بالضم ثم الفتح وباء موحدة مشددة مكسورة وراء اسم الفاعل من عبرت أعبر إذا أجزت أو من عبرت الرؤيا جبل من جبال الدهناء. ياقوت، معجم، ج5، ص154.

بضوران قدر قراءة سورة يس، وبعض من فيه اختلط معقوله، والإمام انتقل إلى
معبر ***¹.

وفي (النصف الآخر من شعبان-سنة1090هـ= بعد 22-ديسمبر-
1679م) ظهرت نار عظيمة في الجبل المقابل للمخا المسمى سقار *** بالسين
المهملة المضمومة والقاف المعجمة، تلتهب بالجمر، وترمي بشررها إلى البحر،
وتصعد في السماء كالمنارة العظيمة، ويراهما من في الجبال البعيدة
كأجبال ****، وفي النهار يرى دخانها كالسحاب، وتعقب ذلك زلازل بالمخا،
وأحرق قدر نصفه، ودخل عامله السيد الحسن وأولاده البحر تخوفاً من ذلك،
وفي أول شوال أحدث الله مطراً أطفأها².

¹ - الصنعاني، تاريخ اليمن، ج1، ص320.

***- سقار: بالفتح منهل قبل ذي قار بين البصرة والمدينة. ياقوت، معجم، ج3، ص226.

****- أجبال: جمع جبل، وهو موضع في ديار بني أسد. البكري، معجم، ج1، ص112.

² - الصنعاني، تاريخ، ج1، ص 362 .

الخاتمة ونتائج البحث

تم بعون الله تعالى الانتهاء من هذا البحث، وقد توصل الباحث من خلاله إلى العديد من النتائج أهمها:

- أن جزيرة العرب تعرضت لإحدى وعشرين زلزلة خلال الأحد عشر قرناً الهجرية الأولى، حسب مصادرنا الإسلامية.
- أن أولى تلك الزلازل كان في سنة (5هـ=627م)، وأن آخرها كان في سنة 1090هـ.
- أن الزلازل في جزيرة العرب كانت قليلة وخفيفة غير مسببة لخسائر بشرية ومادية كبيرة، مقارنة مع زلازل الشام وإيران خلال مدة الدراسة.
- أن بعض زلازل جزيرة العرب قد صاحبها براكين هائلة لكنها لم تسبب خسائر بشرية ومادية كبيرة؛ لأنها حدثت في أماكن جبلية خالية من السكان والعمران.
- أن علماء المسلمين أكدوا أن زلزال سنة 654هـ الذي صاحبه بركان كبير، هو الذي تنبأ به النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما قال: "لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى".
- أن سكان جزيرة العرب كانوا يخافون من الزلازل، وينظرون إليها بأنها عقاب من الله تعالى على كثرة ذنوبهم، ويلجأون إليه سبحانه بالذكر والاستغفار والإقلاع عن الذنوب، ورد المظالم، ويتوجهون عند حدوثها إلى المسجد النبوي الشريف.
- أن العلماء والشعراء كانوا يتأثرون بالزلازل ويتفاعلون معها، حيث كان العلماء يربطونها بالمعاصي والذنوب، وبأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ويصفها الشعراء بقصائد طويلة.
- أن المؤرخين المسلمين لم يهتموا بالتأريخ للزلازل؛ باعتبارها حدثاً مؤثراً في حياة الإنسان، بل قدموا لنا معلومات دقيقة ومفصلة عنها.

الزلازل في بلاد الشام¹

(من القرن الأول إلى القرن الثالث عشر الهجري = القرن السابع إلى
القرن التاسع عشر الميلادي)

¹ - محكم ومنشور في مجلة الجامعة الإسلامية- سلسلة الدراسات الإنسانية- المجلد الثالث عشر- العدد الأول- يناير-2005م.

Earthquakes In Al sham Area

Abstract

Due to the serious lack of historical documentation in the field of earthquake occurrences; the idea of this research was put forward.

Accordingly a thorough study and analysis of those earthquakes occurring during the period of *The First Hijri Century to the Forth Hijri Century* in Al-Sham area (i.e. Palestine, Jordan, Lebanon & Syria).

This research was carried out based on description methodology for each earthquake, specifying its occurrence date, its subsequent damage on humans and properties and its area of destruction. Making use of all available literature, with more than 25 main references.

About 79 earthquakes have hit the Al-Sham area during the selected research period. Detailed descriptions of these earthquakes have been introduced with conclusions and recommendations useful for further research.

This work forms a very strong base for historians & scientists to combine historical facts with science theories.

البحث:

نقلت مصادرنا الإسلامية رواية اعتمدت فيها على علماء أهل الكتاب تفيد أن بلاد الشام قد رجفت أو تزلزلت بعد عيسى بن مريم عليه السلام ثمانين رجفة كان في كل منها مصيبة، وأن هؤلاء العلماء كانوا ينتظرون بعدها رجفة عامة تحدث في الشام تؤدي إلى حدوث الكثير من المصائب، وأنها علامة لظهور النبي محمد ﷺ، وتذكر مصادرنا أيضاً أن هذه الرجفة قد حدثت فعلاً في السنة نفسها التي بعث فيها محمد ﷺ.⁽¹⁾

وإن صحّت هذه الرواية فإن هذا يعني أن الثمانين زلزلة قد حدثت في بلاد الشام في المدة ما بين (30-609م)، وأن الزلزلة الحادية والثمانين قد وقعت سنة (610م) وهي سنة بعثة النبي محمد ﷺ.

ونحن نتعامل مع هذه المعلومات الصادرة عن علماء أهل الكتاب وفق المنهج الذي أوصى به النبي محمد ﷺ في الحديث الشريف: "ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم".⁽²⁾

وما يهمنا في هذا البحث هو الزلازل التي حدثت في بلاد الشام في العهد الإسلامي، وأولى هذه الزلازل وقعت سنة (13 هـ = 633م) أثناء تقدم الجيوش العربية الإسلامية لفتح الشام، حيث "ضربت فلسطين زلزلة"⁽³⁾ استمرت ثلاثين يوماً، ورافقها انتشار الأوبئة في أنحاء مختلفة من البلاد.⁽⁴⁾

¹ - ابن الجوزي، المنتظم (حتى 257 هـ)، ج2، ص339، ج3، ص144؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص223؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج9، ص257-263.

² - أبو داود، سنن أبي داود، ج3، ص318، رقم 3644.

³ - Theophanes, The chronicle, p:37.

⁴ - المنبجي، المنتخب من تاريخ المنبجي، ص45.

وضربت مدينة حمص في شتاء سنة (15 هـ = 636م) وأثناء حصار المسلمين لها زلزلة اتفق حدوثها مع تكبير المسلمين حول أسوار المدينة، وقد أدَّت إلى تَهْدُم الكثير من دورها، وإلى إلقاء الرعب في قلوب الروم، إذ أخذوا ينادون الصلح الصلح، فأجابهم المسلمون إلى الصلح، وكتب أبو عبيدة إلى عمر بفتح المدينة.⁽¹⁾

وفي سنة (38هـ=658م) وفي أثناء الصراع بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما - ضربت فلسطين زلزلة قوية ، ثم تلتها زلزلة أخرى عام (39هـ = 659م) وصلت إلى الكثير من المدن والقرى، ولم تتوفر تفاصيل عن الخسائر التي سببتها هذه الزلازل في الأنفس والممتلكات ⁽²⁾.

وفي سنة (43هـ=663م) تعرَّضت الشام إلى زلزلة، لم يصلنا من أخبارها غير أنها أدَّت إلى خراب في قلعة رعبان* ⁽³⁾.

وفي سنة (94هـ=712م) "كانت الرجة بالشام"⁽⁴⁾، ولا نملك عنها معلومات، غير ما ذكره القلقشندي في معرض حديثه عن الوليد بن عبد الملك (86-96هـ=705-714م)، حيث يقول: "وفي أيامه كانت زلازل عظيمة أقامت أربعين يوماً"⁽⁵⁾. وبالرغم من عدم تحديده لسنة هذه الزلازل، إلا أنه من المرجح

¹ - ابن الجوزي ، المنتظم ، حتى (257 هـ) ، ج 4 ، ص 190.

² - أبو الرب، فلسطين في صدر الإسلام، ص198.

* رعبان: بفتح أوله وسكون ثانيه وباء موحدة وآخره نون، مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات معدودة في العواصم. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص51-52.

³ - ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص51-52.

⁴ - الطبري، تاريخ، ج4، ص21؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص95.

ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة)، ج1، ص413.

⁵ - القلقشندي، الإنافة، ج1، ص137.

أنها سنة (94هـ) التي ذكر المؤرخون أنها سنة الرجفة بالشام، لأنه لم تصلنا أية أخبار عن زلازل وقعت في عهد الوليد بن عبد الملك غير هذه الزلزلة. وقد حدثت زلازل في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-100هـ=717-718م)، لم تتص الروايات التاريخية على تاريخ حدوثها بالضبط ولا على الأماكن التي ضربتها. ومن المحتمل أن تكون بلاد الشام من بين هذه المناطق. يقول صاحب الجواب الكافي: "وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار، أما بعد فإن هذا الرجف شيء يعاقب الله عز وجل به العباد. وقد كتبت إلى سائر الأمصار يخرجوا في يوم كذا وكذا في شهر كذا وكذا، فمن كان عنده شيء فليصدق به، فإن الله عز وجل قال: قد أفلح من تركى وذكر اسم ربه فصلى، وقولوا كما قال آدم: "ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين..."⁽¹⁾.

وضربت بلاد الشام في (رمضان سنة 130هـ= مايو - 748م) زلزلة عنيفة أدت إلى قتل " عشرات الآلاف من الناس، وتهدمت الكثير من الكنائس خاصة في صحراء بيت المقدس " ⁽²⁾.

وذكر المنبجي أنها أصابت ساحل فلسطين وخسفت الكثير من الأماكن " وفقد فيها من الناس مائة ألف ونيف " ⁽³⁾

وخربت هذه الزلزلة مدينة بيت المقدس، وأدت إلى سقوط الكثير من بيوتها على رؤوس أهلها، فقتل العديد منهم ولا سيما من أبناء الأنصار، وفي

¹ - الجواب الكافي، ج 1، ص 30.

² - Theophanes, The chronicle, p:112

³ - المنتخب من تاريخ المنبجي، ص 105-106.

مقدمتهم أبناء محمد بن شداد بن أوس الأنصاري الذين تهدم عليهم المنزل ففنوا جميعاً ما عدا واحد منهم، وفقد والدهم إحدى رجلية تحت الردم⁽¹⁾.

وتهدم بسبب هذه الزلزلة قسم من المسجد الأقصى، وظل الهدم قائماً حتى جاء العباسيون، وقام الخليفة المنصور بترميمه⁽²⁾، وقد أصاب الهدم أيضاً قبة الصخرة⁽³⁾.

وفي سنة (187هـ = 802م)، زلزلت المصيصة*، "فانهدم بعض سورها، ونضب مأوهم ساعة من الليل"⁽⁴⁾، وقد وصف ابن كثير هذه الزلزلة بأنها عظيمة⁽⁵⁾.

وفي سنة (232هـ = 846م)، حدثت زلزلة أثرت في دمشق وحمص وأنطاكية، فهدمت كثيراً من دورها وقتلت العديد من سكانها، وعظم تأثيرها في قرى أنطاكية⁽⁶⁾.

وفي شهر (ربيع الآخر من سنة 233هـ = نوفمبر 847م) "رجفت دمشق رجفة شديدة لارتفاع الضحى، واننقضت منها البيوت وتزايلت العظيمة،

¹ - ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج22، ص409؛ ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ج6، ص290؛ مجير الدين الحنبلي، الأئس الجليل، ج1، ص238.

² - مجير الدين الحنبلي، الأئس الجليل، ج1، ص282-283.

³ - Editorial staff, Umayyads, Encyclopedia judaica, vol 15, p: 1529.

* المصيصة: مدينة على شاطئ جبحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم، تقارب طرسوس. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص145.

⁴ - الطبري، تاريخ، ج4، ص665، ابن الأثير، الكامل، ج5، ص336.

ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص193.

⁵ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص193.

⁶ - ابن الجوزي، المنتظم (حتى 257 هـ)، ج11، ص176.

وسقطت عدة منازل وطاقات في الأسواق على من فيها، فقتلت خلقاً كثيراً من الرجال والنساء والصبيان، وسقط بعض شرفات المسجد الجامع وتصدعت طاقات القبة في وسط الجامع مما يلي المحراب، وانقطع ربع منارة الجامع، فهرب الناس بالنساء، وهرب أهل الأسواق إلى مصلى العيد يبكون ويتضرعون ويصلون ويستغفرون إلى المغرب، ثم سكن ذلك فرجعوا، فأخذوا في إخراج الموتى من تحت الهدم. وذكر بعض من كان في دير مران أنه كان يرى مدينة دمشق وهي ترتفع وتستقر مراراً، وقال أهل قرية من عمل الغوطة عن الرجفة أنها انكفأت عليهم، فلم ينج منهم إلا رجل على فرسه، فأتى أهل دمشق فأخبرهم، وأصاب أهل البلقاء مثل ما أصاب أهل دمشق من هدم المنازل في ذلك اليوم وذلك الوقت وسقطت الحجارة من سور مدينتها، وسقط حائط لها عرضه ذراع في ستة عشر ذراعاً وخرجوا بنسائهم وصبيانهم فلم يزالوا في دعاء وضجيج حتى كف الله عنهم برحمته، وعظمت الزلازل بأنطاكية ومات من أهلها خلق كثير وكذلك الموصل، ويقال إنه مات من أهلها عشرون ألفاً⁽¹⁾.

ويصف ابن تغري بردي هذه الزلزلة فيقول: "كانت زلزلة عظيمة بدمشق سقط منها شرفات الجامع الأموي وتصدع حائط المحراب، وسقطت منارته، وهلك خلق تحت الردم، وهرب الناس إلى المصلى باكين متضرعين إلى الله، وبقيت ثلاث ساعات ثم سكنت. وقال القاضي أحمد بن كامل في تاريخه: رأى بعض أهل دير مران دمشق تتخفّض وترتفع مراراً، فمات تحت الردم معظم أهلها. هكذا قال، ولم يقل بعض أهلها، ثم قال: وكانت الحيطان تنفصل حجارتها من بعضها مع كون الحائط عرض سبعة أذرع، ثم امتدت هذه

¹ - ابن الجوزي، المنتظم، (حتى 257 هـ)، ج 11، ص 189-190.

الزلزلة إلى أنطاكية فهدمتها، ثم إلى الجزيرة، فأخربتها، ثم إلى الموصل، يقال أن الموصل هلك من أهله خمسون ألفاً، ومن أهل أنطاكية عشرون ألفاً⁽¹⁾.

ويتحدث ابن العماد الحنبلي عن هذه الزلزلة فيقول: "فانتقضت منها البيوت، وزالت الحجارة العظيمة، وسقطت عدة طاقات من الأسواق على من فيها فقتلت خلقاً كثيراً، وسقطت بعض شرفات الجامع، وانقطع ربع منارته، وانكفأت قرية من عمل الغوطة على أهلها، فلم ينج منهم إلا رجل واحد، واشتدت الزلازل على أنطاكية والموصل ووقع أكثر من ألفي دار على أهلها فقتلتهم، ومات من أهلها عشرون ألفاً، وفقد من بستان أكثر من مائتي نخلة من أصولها فلم يبق لها أثر"⁽²⁾.

وفي (جمادى الأولى من سنة 239هـ = أكتوبر 853م) "زلزلت الدنيا في الليل، واصطكت الجبال، ووقع من الجبل المشرف على طبرية قطعة طولها ثمانون ذراعاً وعرضها خمسون ذراعاً، فمات تحتها خلق كثير"⁽³⁾.

وفي (شوال من سنة 245هـ = يناير 860م) كانت "بأنطاكية زلزلة قتلت خلقاً كثيراً وسقط منها ألف وخمسمائة دار، وسقط من سورها نيف وتسعون برجاً، وسمعوا أصواتاً هائلة لا يحسنون وصفها من كوى المنازل، وهرب أهلها إلى الصحارى، وتقطع جبلها الأقرع، وسقط في البحر فهاج البحر،

¹ - النجوم الزاهرة، ج2، ص290. ينظر: الذهبي، العبر (1)، ج1، ص413.

² - شذرات الذهب، ج1، ص77. عن زلازل هذه السنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج12، ص33، القلقشندي، مآثر الإنافة، ج1، ص233.

³ - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص300. ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص91.

في ذلك اليوم، وارتفع منه دخان أسود مظلم منتن وغار منها نهر على فرسخ منها فلا يدرى أين ذهب⁽¹⁾.

ويروي أبو شامة أنَّ زلازل عظيمة وقعت بدمشق في (ذي القعدة من سنة 245هـ = فبراير 860م)⁽²⁾. وقد تحدّث العديد من المؤرخين عن زلازل وقعت في بلاد الشام في هذه السنة لكنهم لم يشيروا إلى الشهر الذي وقعت فيه، ومن المحتمل أنه شهر ذي القعدة، وأنها تلك التي تحدث عنها أبو شامة، وعن هذه الزلازل يقول الطبري: "وفيها زلزلت بالس والرقّة وحران ورأس عين وحمص ودمشق والرها وطرسوس والمصيصة وأذنه وسواحل الشام، ورجفت اللاذقية فما بقي منها منزل ولا أفلت من أهلها إلا اليسير، وذهبت جبلة بأهلها"⁽³⁾.

ويقول عنها ابن الأثير: "فتزلزلت ديار الجزيرة والثغور وطرسوس وأذنة، وزلزلت الشام فلم يسلم من أهل اللاذقية إلا اليسير، وهلك أهل جبلة"⁽⁴⁾. وفي يوم الخميس، (2 شوال سنة 267هـ = 4 مايو 881م)، وقعت في بلاد الشام زلزلة عظيمة. وقد ضربت هذه الزلزلة أيضاً وفي الوقت نفسه كلاً من مصر وبلاد الجزيرة والأندلس والمغرب⁽⁵⁾.

¹ - الطبري، تاريخ، ج5، ص328-329. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم (حتى 257 هـ)، ج11، ص328؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص130 - 131؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص346؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص219؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص107.

² - الروضتين، ج1، ص339.

³ - تاريخ، ج5، ص328-329.

⁴ - الكامل، ج6، ص130-131 ينظر: ابن الجوزي، المنتظم (حتى 257 هـ)، ج1، ص328؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص346؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص219.

⁵ - ابن الأثير، الكامل، ج6، ص307.

ولم تتوفر معلومات عن الخسائر التي أسفرت عنها هذه الزلزلة في بلاد الشام، غير أنَّ الناصري يتحدَّث عن قوتها وأثارها في بلاد المغرب فيقول. "تهدمت منها القصور، وانحطت منها الصخور من الجبال وفرَّ الناس من المدن إلى البرية من شدة اضطراب الأرض وتساقطت السقوف والجدران وفرت الطيور من أوكارها وماجت في السماء زماناً حتى سكنت الزلزلة وعم هذه الرجفة جميع بلاد الأندلس سهلها وجبالها وجميع بلاد العدو من تلمسان إلى طنجة ومن البحر الرومي إلى أقصى المغرب إلّا أنه لم يمت فيها أحد لطفاً من الله تعالى بخلقه"⁽¹⁾.

وذكر الطبري أنَّ زلزلة هائلة ضربت بغداد في سنة (267هـ = 881م)، لكنه لم يحدد تاريخها بالضبط، ومن المحتمل أنها الزلزلة نفسها التي ضربت كلاً من الشام ومصر والأندلس والمغرب، وقد أشار أيضاً إلى أنه رغم قوتها إلا أن الله تعالى وقى شرها وصرف مكروها⁽²⁾.

وفي سنة (331هـ = 942م)، "حدث بدمشق زلزلة عظيمة سقط منها زهاء ألف دار، ومات تحت الردم خلق كثير، وخسفت قرية من قرى بعلبك، وخرج الناس من منازلهم إلى الصحارى"⁽³⁾.

وفي سنة (362هـ = 972م)، زلزلت بلاد الشام، وهدمت الحصون، ووقع من أبراج أنطاكية عدّة، ومات تحت الردم خلق كثير"⁽⁴⁾.

وفي سنة (393هـ = 1002م) "زلزل الشام والعواصم والشغور، فمات تحت الهدم خلائق كثيرة"⁽⁵⁾.

¹ - الاستقصا، ج1، ص237.

² - تاريخ، ج5، ص540.

³ - القلقشندي، مآثر الإنافة، ج1، ص321.

⁴ - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص66.

⁵ - م . ن ، ج4، ص207.

وقد شهدت الرملة زلزلة شديدة في سنة (425هـ = 1033م)، وعن هذه الزلزلة يروي ناصر خسرو أنه وجد على جدار مسجد الرملة كتابة تبين "أنه في [الخامس عشر من شهر محرم سنة 425هـ = 11 ديسمبر 1033م]، زلزلت الأرض بشدة هنا فخربت عمارات كثيرة، ولم يصب أحدٌ من السكان بسوء"⁽¹⁾.

وهناك روايتان أخريان عن هذه الزلزلة تشتملان على تفاصيل متباينة ويفهم منهما وقوع خسائر بشرية، حيث يقول ابن تغري بردي: "وفيها زلزلت الرملة زلزلة هدمت ثلث مدينة الرملة، ونزل البحر مقدار ثلاثة فراسخ، فنزل الناس يصيدون السمك فرجع عليهم فغرق من لم يحسن السباحة"⁽²⁾، ويقول ابن العماد الحنبلي: "وزلزلت الرملة فهدم نحو من نصفها وخسف بقرى وسقط بعض حائط بيت المقدس، وسقطت منارة وجامع عسقلان وجزر البحر نحو ثلاثة فراسخ، فخرج الناس يتتبعون السمك والصدف، فعاد الماء فأخذ قوماً منهم"⁽³⁾.

والبحر المقصود هنا هو البحر المتوسط. وأترك ظاهرة نزول البحر ورجوعه إلى ما يقدمه العلماء المتخصصون في الزلازل من تفسيرات، علماً بأنها تكررت في الرملة نفسها سنة (460هـ = 1067م)⁽⁴⁾ وفي بلدان وأزمان مختلفة أخرى، فقد غار نهرٌ قرب أنطاكية عندما زلزلت سنة

¹ - سفر نامه، ج1، ص54.

² - النجوم الزاهرة، ج4، ص279.

³ - شذرات الذهب، ج2، ص228.

⁴ - ابن الجوزي، المنتظم (من 257 هـ)، ج8، ص248؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص

381؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص96

(245هـ=1033م)⁽¹⁾، ونضب ماء المصيصة عندما زلزلت سنة (187هـ=803م)، ساعة من الليل⁽²⁾.

وفي سنة (434هـ=1042م)، "زلزلت تدمر أيضاً وبعلبك، فمات تحت الهدم معظم أهل تدمر"⁽³⁾. وفي وقت سابق من هذه السنة ضربت تبريز* زلزلة عظيمة هدمت قلعتها وسورها وكثيراً من دورها ومساكنها ونجا أميرها بنفسه، وأحصي من مات تحت الهدم فكانوا خمسين ألفاً⁽⁴⁾.

وفي (شهر شعبان من سنة 455هـ= أغسطس 1063م)، "كانت زلزلة بأنطاكية واللاذقية وقطعة من بلاد الروم وطرابلس وصور وأماكن من الشام، ووقع من سور طرابلس قطعة"⁽⁵⁾.

وذكر ابن الأثير أنَّ هذه الزلزلة كانت "عظيمة خرب منها كثير من البلاد وانهدم سور طرابلس"⁽⁶⁾.

ووقعت في فلسطين يوم الثلاثاء (11 جمادى الأولى سنة 460هـ=18 مارس 1068م) "زلزلة شديدة، خربت الرملة، وطلع الماء من رؤوس الآبار، وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألف نسمة، وانشقت الصخرة بالبيت المقدس،

¹ - الطبري، تاريخ، ج1، ص 328-329.

² - م.ن، ج4، ص665؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص336.

³ - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص35.

* تبريز: أشهر مدن أذربيجان وهي مدينة عامرة حسنة ذات أسوار محكمة بالآجر والجص وفي وسطها عدة أنهار جارية والبساتين محيطة بها. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص13.

⁴ - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص35.

⁵ - الكامل، ج8، ص363.

⁶ - الكامل، ج8، ص363.

وعادت بإذن الله تعالى، وعاد البحر من الساحل مسيرة يوم فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون منه فرجع الماء عليهم فأهلك منهم خلقاً كثيراً⁽¹⁾.

وتحدث ابن تغري بردي عن هذه الزلزلة، وذكر التفاصيل السابقة نفسها غير أنه أضاف إليها "أنها أهلكت أيلة ومن فيها"⁽²⁾.

وذكر ابن الجوزي أيضاً التفاصيل السابقة لكنه قدم معلومات مختلفة عن عدد من ماتوا تحت أنقاض مدينة الرملة، إذ يقول: "وجاء كتاب بعض التجار في هذه الزلزلة، ويقول إنها خسفت الرملة جميعها، حتى لم يسلم منها إلا دربان فقط، وهلك منها خمسة عشر ألف نسمة"⁽³⁾.

ووضح ما حصل للبحر المتوسط في هذه المنطقة فقال: "وغار البحر مسيرة يوم وساح في البر وخرب الدنيا، ودخل الناس إلى أرضه يلتقطون فرجع إليهم فأهلك خلقاً عظيماً منهم"⁽⁴⁾.

أما ابن كثير فوصف ما حدث للبحر بقوله: "وغار البحر مسيرة يوم وساخ في الأرض، وظهر في مكان الماء أشياء من جواهر وغيرها، ودخل الناس في أرضه يلتقطون، فرجع عليهم، فأهلك كثيراً منهم أو أكثرهم"⁽⁵⁾.

¹ - ابن الأثير، الكامل، ج3، ص381. ينظر: السمعاني، التخبير، ج2، ص216؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص80؛ القلقشندي، مآثر الإنافة، ج1، ص343؛ تاريخ الخلفاء، ج1، ص421؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج62، ص41.

² - النجوم الزاهرة، ج5، ص80.

³ - المنتظم (من 257 هـ)، ج8، ص248.

ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص96.

⁴ - ابن الجوزي، المنتظم (من 257 هـ)، ج8، ص248.

ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص80.

⁵ - البداية والنهاية، ج12، ص96.

وتحدث ابن الجوزي عن هذه الزلزلة فقال: "فمن الحوادث فيها (460هـ) أنه كان ثلاث ساعاتٍ من يوم الثلاثاء الحادي عشر من جمادى الأولى وهو الثامن عشر من آذار زلزلة عظيمة بالرملة وأعمالها، فذهب أكثرها وانهدم سورها، وعم ذلك بيت المقدس وتئيس وانخسفت أيلة كلها، وانجفل البحر في وقت الزلزلة حتى انكشفت أرضه، ومشى الناس فيه ثم عاد إلى حاله، وتغيرت إحدى زوايا الجامع بمصر، وتبع هذه الزلزلة في ساعتها زلزلتان⁽¹⁾. وقد وقعت الزلزلة ببلاد الحجاز في الوقت نفسه الذي وقعت فيه بفلسطين، ولحقت وادي الصفراء وخيبر، وشعر بها سكان الرحبة والكوفة⁽²⁾. وفي (سنة 467هـ=1074م)، كانت الزلزلة بأنطاكية فأخربت منها كنائس ومنازل وبعض سورها"⁽³⁾.

وبعد أربع سنواتٍ من وقوع الزلزلة فتح المسلمون أنطاكية، وأصلحوا ما خرب من سورها بسبب الزلزلة، واضطروا إلى هدم أحد الأبراج من أساسه وإعادة بنائه من جديد⁽⁴⁾.

وتعرضت الشام إلى زلزلة عظيمة في سنة (484هـ=1091م)، وكانت أنطاكية الأكثر تضرراً. يروي ذلك ابن تغري بردي فيقول: "وفيها وقع بالشام

¹ - المنتظم (حتى 257هـ)، ج8، ص526. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص99؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج2، ص309.

² - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص80.

³ - ابن أبي جرادة، بغية الطلب، ج1، ص480.

⁴ - م.ن، ج1، ص481.

زلزلة عظيمة، ووافق ذلك تشرين الأول، وخرج الناس من دورهم هاربين، وانهدم معظم أنطاكية، ووقع من سورها نحو من تسعين برجاً⁽¹⁾.

وفي جمادى الآخرة من سنة (508هـ = نوفمبر 1114م)، ضربت الشام زلزلة هائلة وصلت إلى أرض الجزيرة، وأدت إلى وقوع خسائر فادحة، إذ يقول ابن الأثير "كانت زلزلة شديدة بديار الجزيرة والشام وغيرهما، فخربت كثيراً من الرها* وحران* وسميساط* وبالس* وغيرها وهلك خلق كثير"⁽²⁾، ويقول ابن كثير: "وفيها كانت زلزلة هائلة بأرض الجزيرة، هدمت منها ثلاثة عشر برجاً، ومن الرها بيوتاً كثيرة، وبعض دور خراسان، ودوراً كثيرة في بلاد شتى، فهلك من أهلها نحو من مائة ألف وخسف بنصف قلعة حران وسلم نصفها وخسف بمدينة سميساط وهلك تحت الردم خلق كثير"⁽³⁾.

¹ - النجوم الزاهرة، ج5، ص132.

* الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ.

* ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص106.

* حران: مدينة عظيمة مشهورة بينها وبين الرها يوم، وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم. ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص235.

* سميساط: مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات، ولها قلعة في شق منها، وكان يحكمها الملك الأفضل علي بن صلاح الدين الأيوبي. ياقوت معجم البلدان، ج3، ص258.

* بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقة. ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص328.

² - الكامل، ج9، ص157.

³ - البداية والنهاية، ج12، ص178. ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج2، ص21.

وقد ضربت بلاد الشام في سنة (532هـ=1137م) زلزلة عظيمة امتدت إلى الجزيرة والعراق، "وانهدم كثير من البيوت، ومات تحت الهدم خلق كثير"⁽¹⁾.

وتحدّث المؤرخون عن زلزلة عظيمة سنة (533 هـ=1138م) كان مركزها مدينة جنزة* "أنت على مائتي ألف وثلاثين ألفاً فأهلكتهم، وكانت الزلزلة عشرة فراسخ في مثلها"⁽²⁾، وذكروا "أنه خسف بجنزة، وصار مكان البلد ماء أسود، وقدم التجار من أهلها فلزموا المقابر ليكون على أهاليهم"⁽³⁾.

وقد وصلت هذه الزلزلة إلى بلاد الشام وإلى مناطق عديدة من العالم، وكان تأثيرها كبيراً أيضاً في مدينة حلب "إنها كانت بالدنيا كلها، وإنما كانت بحلب أعظم، جاءت ثمانين مرة، ورمّت أسوار البلد وأبراج القلعة، وهرب أهل البلد إلى ظاهرها"⁽⁴⁾.

والملاحظ أن ابن الأثير تحدّث عن هذه الزلزلة، وأكد عدد القتلى نفسه وهو مائتين وثلاثين ألفاً، وجاء بتفاصيل أخرى، لكنه أرّخ لها في سنة

¹ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص212.

* جنزة: اسم أعظم مدينة بإيران، وهي بين شروان وأذربيجان، وهي التي تسميها العالم

* كنجة، بينها وبين بردعة ستة عشر فرسخاً. ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص171.

² - ابن الجوزي، المنتظم (من 257 هـ)، ج10، ص78. ينظر: الذهبي، العبر (1)، ج4، ص91؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20، ص403-404؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص264؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص215؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج1، ص438؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج2، ص102.

³ - ابن الجوزي، المنتظم (من 257 هـ)، ج10، ص78.

⁴ - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص264. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص215.

(534هـ = 1139م)⁽¹⁾. وأرى أن التاريخ الأدق هو (533هـ = 1138م)، لأنه التاريخ الذي أجمع عليه المؤرخون وعلى رأسهم ابن الجوزي الأقرب إلى الحدث من ابن الأثير.

ويذكر أبو شامة زلزلة ضربت مناطق من الشام سنة (546هـ = 1152م) فيقول: "وقد وردت الحكايات بحدوث زلزلة وافت الليلة الثالثة عشرة من جمادى الآخرة [الثلاثاء 25-9-1151م]، اهتزت الأرض لها ثلاث رجفات في أعمال بصرى* وهوران* وما والاها من سائر الجهات، وهدمت عدة وافرة من حيطان المنازل ببصري وغيرها ثم سكنت بقدرة من حركها سبحانه وتعالى"⁽²⁾.

وضربت الشام زلزلة أخرى بتاريخ (2 شوال 546هـ = الجمعة 11-1-1152م) قبيل الظهر، اهتزت لها الأرض ثلاث هزات هائلة، وتحركت الدور والجدران ثم سكنت⁽³⁾.

وفي سنة (551هـ = 1156م) جاءت الزلزلة العظمى بالشام"⁽⁴⁾، وتكرر حدوث الزلازل في هذه السنة وفي السنة التي تليها، وكانت زلازل هاتين السنتين أشد الزلازل التي عرفتها الشام وأكثرها قتلًا وتدميرًا، "وكان ابتداءها

¹ - الكامل، ج9، ص315.

* بصري: من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً. ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص441؛ البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص253.
* حوران: كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار. ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص317؛ البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص474.

² - الروضتين، ج1، ص272.

³ - م.ن، ج1، ص275.

⁴ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20، ص410.

في شهر الله رجب سنة إحدى وخمسين وخمسة مائة [فبراير - 1156م] وهلك بها من هلك من الخلق فكان نحواً من عشرة آلاف نسمة⁽¹⁾.

ويتحدث أبو شامة عن زلازل سنة 551 هـ ، ويجعل بدايتها شهر شعبان فيقول: " في ليلة الثاني والعشرين من شعبان [8 أكتوبر 1156م]، وافت زلزلة هائلة ، وجاءت قبلها وبعدها مثلها في النهار وفي الليل، ثم جاء بعد ذلك ثلاث دونهن، بحيث أحصين ست مرات وفي ليلة الخامس والعشرين منه جاءت زلزلة ارتاع الناس منها في أول النهار وآخره، وتواصلت الأخبار من ناحية حلب وحماة بانهدام مواضع كثيرة، وانهدام برج من أبراج أفامية* بهذه الزلزلة المباركة. وذكر أن الذي أحصي عدده منها تقدير الأربعين، وما عرف مثل ذلك في السنين الماضية والأعصار الخلية. وفي التاسع والعشرين من الشهر بعينه [الثلاثاء 16 أكتوبر 1156م] وافت زلزلة آخر النهار وبالليل ثانية في آخره. وفي أول شهر رمضان [18-10-1156م] زلزلة مروعة وثانية وثالثة، وفي ثالث رمضان ثلاث زلازل وأخرى وقت الظهر، وأخرى هائلة أيقظت النيام وروعت القلوب انتصاف الليل وفي ليلة نصف رمضان زلزلة هائلة أعظم مما سبق، وعند الصباح أخرى. وفي الليلة التي تليها زلزلتان أولها وآخرها. وفي اليوم الذي بعد يومها. وفي ليلة الثالث والعشرين زلزلة مزعجة. وفي ثاني شوال زلزلة أعظم مما تقدم، وفي سابعه وسادس عشره وفي اليوم الذي جاء بعده أربع زلازل، وليلة الثاني والعشرين منه، ودفع الله تعالى عن دمشق وضواحيها ما

¹ - أبو شامة، الروضتين، ج1، ص336.

* أفامية: مدينة حصينة من سواحل الشام ، وكورة من كور حمص . ياقوت ، معجم البلدان ، ج1 ، ص227.

* عرقة: بلدة في شرقي طرابلس بينهما أربعة فراسخ، وهي آخر عمل دمشق وهي في سفح جبل، بينها وبين البحر نحو ميل، وعلى جبلها قلعة لها. ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص109.

خاف أهلها من توالي ذلك وتتابعه برأفته بهم ورحمته لهم فله الحمد والشكر. لكن وردت الأخبار من ناحية حلب بكثرة ذلك فيها وانهدام مساكنها. وأما شيزر فإن الكثير من مساكنها انهدم على سكانه. بحيث قتل منهم العدد الكثير من أرواحهم. وأما حماة فكانت كذلك. وأما باقي الأعمال الشامية فما عرف ما حدث فيها من هذه القدرة الباهرة⁽¹⁾.

ويقدم أبو شامة تفاصيل دقيقة أيضاً عن زلازل سنة (552 هـ = 1157م)، التي ضربت بلاد الشام فيقول: "ففي ليلة تاسع عشر صفر وافت زلزلة عظيمة وتلاها أخرى وكذا في ليلة العشرين واليوم بعدها، وتواصلت الأخبار من ناحية الشمال بعظيم تأثير هذه الزلازل وفي ليلة الخامس والعشرين من جمادى الأولى وافت أربع زلازل، وضج الناس بالتهليل والتسبيح والتقديس وفي ليلة رابع جمادى الآخرة وافت زلزلتان. وتواصلت الأخبار من ناحية الشمال بأن هذه الزلازل أثرت في حلب تأثيراً أزعج أهلها وأقلقهم، وكذا في حمص، وهدمت مواضع فيها. وفي حماة وكفر طاب وأفامية وهدمت ما كان بني من مهدوم الزلازل الأول، وحكي أن تيماء أثرت فيها هذه الزلازل تأثيراً مهولاً⁽²⁾.

وفي يوم الاثنين (4 رجب سنة 552 هـ = 11 أغسطس 1157م) ضربت بلاد الشام زلزلة عنيفة⁽³⁾، سجل تفاصيلها ابن الأثير حيث يقول: "في هذه السنة في رجب كان بالشام زلازل قوية خربت كثيراً من البلاد وهلك فيها ما لا يحصى كثرة، فخرّب منها بالمرّة حماة وشيزر وكفر طاب والمعرة وأفامية وحمص وحصن الأكراد وعرقّة واللاذقية وطرابلس وأنطاكية وأما ما لم يكثر فيها الخراب ولكن خرب أكثره في جميع الشام، وتهدمت أسوار البلاد

¹ - الروضتين، ج1، ص330-332.

² - الروضتين، ج1، ص332.

³ - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج43، ص235؛ أبو شامة، الروضتين، ج1، ص332.

والقلاع، فقام نور الدين محمود في ذلك المقام المرضي وخاف على بلاد الإسلام من الفرنج، حيث خربت الأسوار، فجمع عساكره وأقام بأطراف البلاد. فلم يزل كذلك حتى فرغ من أسوار البلاد. وأما كثرة القتلى فيكفي أن معلماً كان بالمدينة وهي مدينة حماة ، ذكر عنه أنه فارق المكتب لمهم عرض له فجاءت الزلزلة فخربت البلد وسقط المكتب على الصبيان جميعهم، قال المعلم فلم يأت أحد يسأل عن صبي كان له بالمكتب" (1).

وقد ذكرت بعض كتب التراجم هذه الزلزلة، في معرض ذكرها لتاريخ وفاة المترجم لهم. يقول ابن عساكر: "توفي علي بن مرضي في زلزلة حماة يوم الاثنين رابع رجب سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة" (2). ويقول صاحب وفيات الأعيان في معرض ترجمته لعلي بن منقذ "أنه توفي تحت الهدم لما هدمت الزلزلة حصن شيزر يوم الإثنين ثالث رجب سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة" (3). ويبدو أن صاحب الوفيات قد أخطأ في تحديد التاريخ، إذ تبين بعد الرجوع إلى قوائم التواريخ الهجرية الدقيقة أن يوم الاثنين يوافق 4 - رجب - 552 هـ، وليس 3 رجب من هذه السنة. وقد أخطأ كذلك الإمام أحمد عندما جعل تاريخ هذه الزلزلة هو يوم الاثنين 8 رجب 552 هـ، لأن يوم 8 رجب من هذه السنة يوافق يوم الجمعة وليس يوم الاثنين.

وعن هذه الزلزلة يقول أبو شامة : "وفي رابع رجب نهراً وافت بدمشق زلزلة عظيمة لم ير مثلاً فيها تقدم، ودامت رجفاتها حتى خاف الناس على أنفسهم ومنازلهم وهربوا من الدور والحوانيت والسقائف ، وانزعجوا وأثرت في

¹ - الكامل، ج9، ص413.

² - تاريخ دمشق، ج43، ص235.

³ - ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص411.

مواضع كثيرة ورمت من فص الجامع الشيء الكثير الذي يعجز عن إعادة مثله ثم وافت عقيبتها زلزلة في الحال، ثم سكنتا بقدرة من حركهما" (1).

ويتحدث ابن الجوزي عنها فيقول: "ووصل الخبر في رمضان بزلزل كانت بالشام عظيمة في رجب تهدمت منها ثلاثة عشر بلداً، ثمانية من بلاد الإسلام وخمسة من بلاد الكفر، أما بلاد الإسلام فحلب وحماة وشيزر وكفر طاب وأفامية وحمص والمعة وتل حران، وأما بلاد الإفرنج فحصن الأكراد وعرة واللاذقية وطرابلس وأنطاكية، فأما حلب فأهلك منها مائة نفس، وأما حماة فهلك جميعها إلا اليسير، وأما شيزر فما سلم منها إلا امرأة وخادم لها، وهلك جميع من فيها وأما كفر طاب فما سلم منها أحد، وأما أفامية فهلك وساخت قلعتها، وأما حمص فهلك منها عالم عظيم، وأما المعة فهلك بعضها، وأما تل حران فإنه انقسم نصفين وظهر من وسطه نواويس وبيوت كثيرة، وأما حصن الأكراد وعرة فهلكتا جميعاً، وهلك اللاذقية فسلم منها نفر... وأما طرابلس فهلك أكثرها وأما أنطاكية فسلم بعضها" (2).

ويقول ابن كثير: "وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام، هلك بسببها خلق كثير لا يعلمهم إلا الله، وتهدم أكثر حلب وحماة وشيزر وحمص وكفر طاب وحصن الأكراد واللاذقية والمعة وأفامية وإنطاكية وطرابلس" (3).

وعن زلازل شهر رجب هذه يقول ابن تغري بردي: "ووقعت أبراج قلعة حلب وغيرها، وهلك جميع من كان في شيزر إلا امرأة واحدة وخادماً، وساخت قلعة أفامية، وانشق تل حران نصفين، وظهر فيه صنم قائم في الماء،

¹ - الروضتين، ج1، ص332.

² - المنتظم (من 257هـ)، ج10، ص176-177.

³ - البداية والنهاية، ج12، ص236.

وخربت صيداء وبيروت وطرابلس وعكا وصور وجميع قلاع الفرنج، وعمل شعراء ذلك العصر في هذه الزلزلة أشعاراً كثيرة⁽¹⁾.

ويروي أبو شامة تفاصيل هذه الزلزلة فيقول: "وفي رجب المذكور زلزلة، وفي وسطه زلزلة، وفي آخره زلزلة، وفي ليلة الجمعة ثامن رجب زلزلة مهولة أزعجت الناس، وتلاها في النصف منها ثانية، وعند انبلاج الصبح الثالثة، وكذلك في ليلة السبت وليلة الأحد وليلة الاثنين، وتتابع بعد ذلك بما يطول به الشرح. ووردت الأخبار من ناحية الشمال بما يسوء سماعه ويرعب النفوس ذكره، بحيث انهدمت حماة وقلعتها وسائر دورها ومنازلها على أهلها من الشيوخ والشبان والأطفال والنسوان، وهم العدد الكثير والجم الغفير، بحيث لم يسلم منهم إلا القليل اليسير، وأما شيزر فإن ربضها سلم إلا ما كان خرب أولاً، وأما حصنه المشهور فإنه انهدم على واليها تاج الدولة بن أبي العساكر بن منقذ، ومن تبعه إلا اليسير ممن كان خارجاً، وأما حمص فإن أهلها كانوا قد اختلفوا منها إلى ظاهرها فسلموا وتلفت مساكنهم وتلفت قلعتها. وأما حلب فهدمت بعض دورها، وخرج أهلها منها إلى ظاهر البلد وكفر طاب وأفامية وما والاها ودنا منها وبعد عنها من الحصون والمعازل إلى جبله وجبيل فأثرت بها الآثار المستبشعة، وأتلفت سلمية وما اتصل بها إلى ناحية الرحبة وما جاورها، ولو لم يدرك العباد والبلاد رحمة الله تعالى ولطفه ورأفته لكان الخطب أظع"⁽²⁾.

وفي ليلة الاثنين (29 رجب 552هـ = 5 سبتمبر 1157م) ضربت دمشق زلزلة تحدث عنها أبو شامة أيضاً فقال: "وأما أهل دمشق فلما وافتهم الزلزلة في ليلة الاثنين التاسع والعشرين من رجب ارتاع الناس من هولها، وأجفلوا من منازلهم والمسقف إلى الجامع والأماكن الخالية من البنين، خوفاً على

¹ - النجوم الزاهرة، ج5، ص325.

² - الروضتين، ج1، ص333.

أنفسهم، ووافت بعد ذلك أخرى، ففتح البلد وخرج الناس إلى ظاهره والبساتين والصحراء وأقاموا عدة ليال وأيام على الخوف والجزع يسبحون ويهللون ويرغبون إلى خالقهم ورازقهم في اللطف بهم والعفو عنهم" (1).

كما تحدث عن زلزلة أخرى ضربت بلاد الشام في (24 رمضان 552هـ = 30 أكتوبر 1157م) حيث قال: "وفي الرابع والعشرين من رمضان وافت دمشق زلزلة روعت الناس وأزعجتهم، لما وقع في نفوسهم مما قد جرى على بلاد الشام من تتابع الزلازل فيها، ووافت الأخبار من ناحية حلب بأن هذه الزلزلة جاءت فيها هائلة فقلقت من دورها وجدرانها العدد الكثير، وأنها كانت بحماة أعظم مما كانت في غيرها، وأنها هدمت ما كان عمر فيها من بيوت يلتجأ إليها، وأنها دامت فيها أياماً كثيرة في كل يوم عدة وافرة من الرجفات الهائلة يتبعها صيحات مختلفات توفي على أصوات الرعود القاصفة المزعجة فسبحان من له الحكم والأمر، وتلا ذلك ردفات متوالية أخف من غيرهن" (2).

ويواصل أبو شامة حديثه عن زلازل هذه السنة فيقول: "قلما كان ليلة السبت العاشر من شوال [14 نوفمبر 1157م] وافت زلزلة هائلة بعد صلاة عشاء الآخرة أزعجت وأقلقت وتلاها في إثرها هزة خفيفة وكذا ليلة العاشر من ذي القعدة [13 ديسمبر 1157م] وفي غدها زلازل ، وليلة الثالث والعشرين [26 ديسمبر 1157م] والخامس والعشرين منه أيضاً [28 ديسمبر 1157م] زلازل نفر الناس من هولها إلى الجامع والأماكن المنكشفة وضجوا بالتكبير والتهليل والتسبيح والدعاء والتضرع إلى الله تعالى. وفي يوم الجمعة انسلاخ ذي القعدة [3 يناير 1156م] وافت زلزلة رجفت لها الأرض وانزعج لها الناس" (3).

¹ - م.ن، ج 1، ص 334.

² - م.ن، ج 1، ص 334.

³ - م.ن، ج 1، ص 334-335.

وقد أورد بعض المؤرخين روايات طريفة وهم يتحدثون عن آثار الزلازل التي ضربت بلاد الشام سنة (552هـ = 1157م)، ومن ذلك قول ابن الأثير: "فلما خربت القلعة (شيزر) هذه السنة بما ذكرناه من الزلزلة لم ينج من بني منقذ الذين بها أحد، وسبب هلاكهم أجمعين أن صاحبها ختن ولدًا له وعمل دعوة للناس وأحضر جميع بني منقذ عنده في داره وكان له فرس يحبه ولا يكاد يفارقه، وإذا كان في مجلس أقيم الفرس على بابه، وكان المهر في ذلك اليوم على باب الدار، فجاءت الزلزلة، فقام الناس ليخرجوا من الدار، فرمح الفرس رجلاً كان أولهم فقتله، وامتنع الناس من الخروج فسقطت الدار عليهم كلهم، وخربت القلعة، وسقط سورها، وكل بناء فيها، ولم ينج منهم إلا الشريد" (1).

وقول ابن أبي جرادة في معرض ترجمته لصاحب قلعة شيزر محمد بن سلطان بن منقذ: "وكانت الزلزلة قد خربت شيزر في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة، وسقطت القلعة على أخيه وأولاده وزوجته الخاتون أخت شمس الملوك يعني بنت بوري بن طغتكين، فسلمت المرأة وحدها دونهم، ونشبت من الردم وخلصت، وجاء نور الدين محمود إلى شيزر، وطلب من امرأته أن تعلمه بالمال وهددها، فذكرت له أن الردم سقط عليها وعليهم ونشبت هي دونهم، ولا تعلم بشيء، وإن كان لهم شيء فهو تحت الردم، وكان شرف الدولة غائباً، فحضر بعد الزلزلة، وعاین ما فعلت بشيزر وأخيه. وشاهد امرأة أخيه بعد العز في ذلك الذل فعمل:

ليس الصباح من المساء بأمتل	فأقول لليل الطويل ألا انجلي
شلت يد الأيام إن قسيها	ما أرسلت سهماً فأخطأ مقتلي
لي كل يوم كربة من نكبة	يهمي لها جفني وقلبي يصطلي
لو عاينت عيناك قلعة شيزر	والستر دون نسائها لم يسبل

¹ - الكامل، ج9، ص415.

لرأيت حصناً هائل المرأى غدا متهلهاً مثل النقا المتهلل⁽¹⁾.

والجدير بالذكر أنّ بني منقذ يملكون قلعة شيزر منذ أن انتزعها جدهم علي بن منقذ من يد الصليبيين سنة (474هـ = 1081م)⁽²⁾، ومن طرائف هذه الزلزلة أيضاً أن صاحب شيزر محمد بن سلطان بن منقذ "كان قد ابتنى داراً وزخرفها، وجلس فيها، وعنده أولاده وبنو عمه وحاشيته وهم يتفرجون على قرد عندهم ، فجاءت الزلزلة وهدمت الدار عليهم فلم ينج منهم غير القرد"⁽³⁾.

وقد تعامل نور الدين محمود وغيره مع الحكام اللاحقين مع الزلازل التي تعرضت لها بلاد الشام بكل جدية ومسئولية⁽⁴⁾، فبعد الزلزلة التي دمرت شيزر توجه إليها نور الدين وضمها إلى دولته، وعمر أسوارها ودورها وأعادها جديدة⁽⁵⁾، وكذلك فعل بمدينة حماة، وكل ما خرب بالشام بهذه الزلزلة، فعادت البلاد كأحسن ما كانت⁽⁶⁾.

وقد نتج عن زلازل سنة (552هـ = 1157م) في بلاد الشام فواجع إنسانية مؤلمة تركت أثراً كبيراً في نفوس العديد من الشعراء، الذين فقد بعضهم كل أهله وأقربائه، يقول ابن تغري بردي عن ذلك: "وعمل شعراء ذلك العصر

¹ - بغية الطلب، ج4، ص1641.

² - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص553

³ - بغية الطلب، ج1، ص146.

⁴ - عن جهود الحكام اللاحقين في إصلاح آثار الزلازل. ينظر: بغية الطلب، ج1، ص149.

⁵ - الكامل، ج9، ص415؛ الذهبي، العبر (1)، ج4، ص146؛ أبو شامة، الروضتين، ج1، ص356؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج1، ص45؛ ابن أبي جرادة، بغية الطلب، ج4، ص1640.

⁶ - الروضتين، ج1، ص356. ينظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج1، ص45، القلقشندي، مآثر الإنافة، ج2، ص40.

في هذه الزلزلة أشعاراً كثيرة⁽¹⁾ وذكر أبو شامة منها قول الأمير أسامة بن مرشد بن منقذ:

نمنا عن الموت والمعاد وأصبحنا نظن اليقين أحلاماً.
فحركتنا هذي الزلازل أي تيقظوا كم ينام من ناما.⁽²⁾
وقوله واصفاً هذه الزلزلة معلقاً على قيام بعض الناس بعدها بهجرة
الدور وبناء الأكواخ الخشبية والعيش فيها :

ماجت بهم أرضهم حتى كأنهم ركاب بحر مع الأنفاس تضطرب
فنصفهم هلكوا فيها ونصفهم لمصرع السلف الماضين يرتقب
تعوضوا من مشيدات المنازل بالأكواخ فهي قبور سقفها خشب⁽³⁾.

وقوله يرثي أهله الذين هلكوا بالزلازل بحسن شيزر:

ما استدرج الموت قومي في هلاكهم ولا تخرمهم مثى ووجدانا
فكنت أصبر عنهم صبر محتسب وأحمل الخطب فيهم عزّاً أو هاناً
وأقتدي بالورى قبلي فكم فقدوا أخاً وكم فارقوا أهلاً وجيراناً
لكن سقب المنايا، وسط جمعهم رغا فخروا على الأذقان إذعانا
وفاجأتهم من الأيام قارعة سقتهم بكؤوس الموت ذيفانا
ماتوا جميعاً كرجع الطرف وانقرضوا هل ما ترى تاركاً للعين إنساناً
لم يترك الموت منهم من يخبرني عنهم فيوضح ما قالوه تبياناً
بادوا جميعاً وما شادوا فوا عجباً للخطب أهلك عماراً وعمرانا
هذي قصورهم أمست قبورهم كذاك كانوا بها من قبل سكانا
ويح الزلازل أفنت معشري فإذا ذكرتهم خللتني في القوم سكرانا⁽⁴⁾.

¹ - النجوم الزاهرة، ج 5، ص 325.

² - الروضتين، ج 1، ص 336.

³ - م.ن، ج 1، ص 336.

⁴ - م.ن، ج 1، ص 337.

وقال الأمير حميد بن أبي الفياض بن مالك بن منقذ من بني عم صاحب
شيزر (ت: 558هـ = 1162م) في أهله بعد زلزلة شيزر سنة (552هـ =
1157م):

من سره أن يرى من دهره عجباً فليأتنا وظلام الليل مسدول
يرى الأحبة صرعى والديار على عروشها ونطاق المجد محلول⁽¹⁾.
وفي (15 ربيع الأول 553هـ = 16 إبريل 1158م) وقعت زلزلة في
حلب روعت أهلها وأزعجتهم، وزعزت مواضع من مساكنها، ثم سكنت
بقدره محركها سبحانه وتعالى⁽²⁾.

وفي ليلة (الخامس والعشرين من ربيع الأول 553هـ = 25 إبريل
1159م) "وافت زلزلة في دمشق روعت وأقلقت ثم سكنت"⁽³⁾.

وفي ليلة (الثالث والعشرين من رجب 553هـ = 19 أغسطس
1158م) "وافت زلزلة عند تأذين الغداة، ثم أخرى في الليلة بعدها وقت صلاة
الغداة"⁽⁴⁾. وقد استغل الصليبيون هذه الزلزلة وهاجموا جيش نور الدين محمود،
وكادوا أن يهزموه، لكنهم فشلوا بفضل ثبات نور الدين ومجموعة يسيرة من
جنده⁽⁵⁾.

وقد ترجم ابن عساكر لأبي سهل عبد الرحمن بن مدرك، وذكر أنه
توفي في زلزلة حماة في (رجب سنة 553هـ = أغسطس 1158م)⁽⁶⁾. وهذا

¹ - بغية الطلب، ج6، ص2976.

² - الروضتين، ج1، ص375.

³ - م.ن، ج1، ص375.

⁴ - م.ن، ج1، ص376.

⁵ - م.ن، ج1، ص376.

⁶ - تاريخ دمشق، ج35، ص398.

يعني أن حماة كانت إحدى المدن الشامية التي ضربتها الزلزلة في رجب 553هـ.

وفي (1 محرم 554هـ = 23 يناير 1159م) ضربت الشام زلزلة عظيمة في وقت الضحى، وتلاها زلزلتان دونها في القوة ⁽¹⁾. كما ضربت الشام زلزلة أخرى في (9 جمادى الأولى سنة 554هـ = 29 مايو 1159م) يحدثنا عنها أبو شامة فيقول: "هبّت ريح عاصفة شديدة، أقامت يومها وليلتها، فأتلفت أكثر الثمار، صيفها وشتويها، وأفسدت بعض الأشجار، ثم وافت آخر الليل زلزلة هائلة، ماجت موجتين أزعجت وأتلفت" ⁽²⁾.

وفي (12 شوال 565هـ = 28 يونيو 1170م)، ضربت الشام زلزلة، أسهب المؤرخون في وصفها، فقال ابن الأثير: "في هذه السنة أيضاً (565 هـ) ثاني عشر شوال كانت زلازل عظيمة متتابعة هائلة لم ير الناس مثلاً، وعمت أكثر البلاد من الشام والجزيرة والموصل والعراق وغيرها من البلاد وأشدّها كان بالشام فخرت كثيراً من دمشق وبعلبك وحمص وحماة وشيزر وبعرين وحلب وغيرها، وتهدمت أسوارها وقلاعها، وسقطت الدور على أهلها، وهلك منهم ما يخرج عن الحد، فلما أتاه الخبر سار إلى بعلبك ليعمر ما انهدم من سورها وقلعتها، فلما وصلها أتاه خبر باقي البلاد وخراب أسوارها وقلاعها وخلوها من أهلها، فجعل ببعلبك من يعمرها ويحفظها، وسار إلى حمص، ففعل مثل ذلك، ثم إلى حماة، ثم إلى بعرين، وكان شديد الحذر على سائر البلاد من الفرنج، ثم أتى مدينة حلب، فرأى فيها من آثار الزلزلة ما ليس بغيرها من البلاد، فإنها كانت قد أتت عليها، وبلغ الرعب ممن نجا كل مبلغ وكانوا لا يقدرّون يأوون إلى مساكنهم خوفاً من الزلزلة، فأقام بظاهرها، وباشر عمارتها بنفسه، فلم يزل كذلك حتى

¹ - الروضتين، ج1، ص381.

² - م.ن، ج1، ص385.

أحكم أسوار البلاد وجوامعها. وأما بلاد الإفرنج فإن الزلازل أيضاً عملت بها كذلك، فاشتغلوا بعمارة بلادهم خوفاً من نور الدين عليها، فاشتغل كل منهم بعمارة بلاده خوفاً من الآخر (1).

وقال فيها الذهبي: "جاءت زلازل عظام بالشام، ودكت القلاع وأفنت خلقاً" (2). وفي معرض ترجمته لسنان بن سلمان بن محمد البصري ذكر الذهبي أن سنان قد عرج من حجر وقع عليه في هذه الزلزلة (3).

وذكر في عبره أن بعض من تحدثوا بالتفصيل عن هذه الزلزلة قالوا أنه "هلك بحلب تحت الهدم ثمانون ألفاً" (4). وقال ابن كثير: "وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة وعمت أكثر الأرض، وتهدمت أسوار كثيرة بالشام، وسقطت دور كثيرة على أهلها، ولاسيما بدمشق وحمص وحلب. وبعلبك سقطت أسوارها وأكثر قلعتها، فجدد نور الدين عمارة أكثر ما وقع بهذه الأماكن" (5).

وقال ابن العماد الحنبلي: "في شوال منها كانت الزلزلة العظمى بالشام، ووقع معظم دمشق، وشرقات جامع بني أمية، ووقع نصف قلعة حلب والبلد وهلك من أهلها ثمانون ألفاً، ووقعت قلعة حصن الأكراد ولم يبق لسورها أثر" (6).

¹ - الكامل، ج 10، ص 24. ينظر: أبو شامة، الروضتين، ج 2، ص 154-155؛ ابن خلكان،

وفيات الأعيان، ج 3، ص 409.

² - سير أعلام النبلاء، ج 20، ص 417.

³ - م.ن، ج 21، ص 185.

⁴ - العبر (1)، ج 4، ص 189.

⁵ - البداية والنهاية، ج 12، ص 261.

⁶ - شذرات الذهب، ج 2، ص 215.

ونقل أبو شامة عن العماد الأصفهاني قوله: "كانت الزلزلة بحلب قد خربت دار محي الدين ⁽¹⁾، وسلبت قراره وغلبت اضطباره وجلبت أفكاره فكتبت إليه قصيدة مطلعها:

لو كان من شكوى الصبابة مشكياً لعدى على عدوى الصبابة معدياً ⁽²⁾.
وقد مر بنا سابقاً كيف أثرت الزلازل على سكان الشام ودفعت كثيراً منهم إلى اتخاذ منازل من خشب . وها هي زلازل سنة (565هـ = 1170م) تدفع حتى بنور الدين محمود (ت: 570هـ = 1174م) إلى اتخاذ بيت من خشب "فلما جاءت سنة الزلزلة بنى بإزاء تلك الصفة بيتاً من الأخشاب، مأمون الاضطراب، فهو يبيت فيه ويصبح، ويخلو بعبادته ولا يبرح، فدفن في ذلك البيت الذي اتخذه حمى من الحمام، وأذن بناؤه لبانيه بالانهدام" ⁽³⁾.

ومن الأشعار التي قيلت في هذه الزلزلة قصيدة للعماد الأصفهاني مطلعها:

هل لعالى الهوى من الأسر فادي ولساري ليل الصبابة هادي
جنبوني خطب البعاد فسهل كل خطب سو النوى والبعاد ⁽⁴⁾.

وهزت بلاد الشام زلزلة عظيمة في (شعبان من سنة 597 هـ=مايو 1201م)، تحدّث عنها العديد من المؤرخين وذكروا تفاصيل كثيرة فقال ابن الأثير: "وفي شعبان تزلزلت الأرض بالموصل وديار الجزيرة كلها وحماة وانخسفت قرية من قرى بصرى ، وأثرت في الساحل الشامي أثراً كبيراً،

¹ - حاكم حلب سنة 565هـ محي الدين أبو حامد محمد، ابن قاضي قضاة الشام كمال الدين أبي الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري. أبو شامة، الروضتين، ج2، ص157-158.

² - الروضتين، ج2، ص158.

³ - م.ن، ج2، ص309.

⁴ - م.ن، ج2، ص156.

فاستولى الخراب على طرابلس وصور وعكا ونابلس وغيرها من القلاع، ووصلت الزلزلة إلى بلد الروم، وكانت بالعراق يسيرة لم تهدم دوراً⁽¹⁾.

وذكرها ابن نظيف الحموي باختصار فقال: "وفيها جاءت الزلزلة العظيمة التي أخرجت الساحل وأكثر بلاد الفرنج"⁽²⁾.

وفصل الذهبي حديثه عنها فقال: "وتمت زلزلة كانت حركتها كالغربة في جوف الليل، فصح عندي أنها حركت من قوص إلى الشام، وتعفت بلاد كثيرة، وهلك أمم لا تحصى، وأنكت في بلاد الفرنج أكثر، وسمعنا أنها وصلت إلى خلاط، وجاعني كتاب من الشام فيه: كادت لها الأرض تسير سيراً، والجبال تمور موراً، وما ظننا إلا أنها زلزلة الساعة، وأنت دفعيتين الأولى مقدار ساعة أو أزيد، والثانية دون ذلك لكن أشد، وفي كتاب آخر دامت بقدر ما قرأ سورة الكهف، وأن صفد لم يسلم بها سوى ولد صاحبها. قلت وفي هذا الكتاب خسف وإفك، وفيه أن عرقه وصافينا خسف بهما"⁽³⁾.

وروى الذهبي عن أبي شامة قوله: "و في شعبان جاءت زلزلة عمت الدنيا في ساعة واحدة، فهدمت نابلس فمات تحت الهدم ثلاثون ألفاً، وهدمت عكا، وصور وجميع قلاع الساحل ورمت بعض المنارة الشرقية وأكثر الكلاسة والمارستان وعامة دور دمشق وهرب الناس إلى الميادين، وسقط من الجامع ستة عشر شرفة. وتشققت قبة النسر - إلى أن قال والعهدة عليه - وأحصي من

¹ - الكامل، ج10، ص575-576.

² - التاريخ المنصوري، ج1، ص25.

³ - سير أعلام النبلاء، ج22، ص220.

هلك في هذه السنة فكان ألف ألف ومائة ألف إنسان، ثم قال: نقلت ذلك من تاريخ أبي المظفر سبط ابن الجوزي" (1).

وذكر ابن كثير هذه الزلزلة وأضاف بعض التفصيلات، حيث يقول: "وفيها كانت زلزلة عظيمة ابتدأت من بلاد الشام إلى الجزيرة وبلاد الروم والعراق وكان جمهورها وعظمها بالشام تهدمت منها دور كثيرة، وتخربت محال كثيرة، وخسف بقرية من أرض بصرى، وأما سواحل الشام وغيرها فهلك فيها شيء كثير، وأخربت محال كثيرة من طرابلس وصور وعكا ونابلس، ولم يبق بنابلس سوى حارة السامرة، ومات بها وبقراها ثلاثون ألفاً تحت الردم، وسقط طائفة كثيرة من المنارة الشرقية بدمشق بجامعها وأربع عشرة شرافة منه، وغالب الكلاسة والمارستان النوري، وخرج الناس إلى الميادين يستغيثون، وسقط غالب قلعة بعلبك، مع وثاقه بنيانها، وانفرد البحر إلى قبرص، وقد حذف بالمراكب منه إلى ساحله، وتعدى إلى ناحية الشرق، فسقط بسبب ذلك دور كثيرة، ومات أم لا يحصون ولا يعدون، حتى قال صاحب مرآة الزمان إنه مات في هذه السنة بسبب الزلزلة نحو ألف ألف ومائة ألف إنسان قتلاً تحتها، وقيل إن أحداً لم يحص من مات منها والله سبحانه أعلم" (2).

وانفرد ابن العماد الحنبلي بذكر زلزلة ضربت بعض مناطق الشام في (شعبان سنة 598هـ = إبريل 1202م)، ، حيث يقول: "وفيها جاءت زلزلة

¹ - م.ن، ج22، ص221. ينظر: العبر في خبر من غبر (1)، ج4، ص296؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص174؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج1، ص455؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج2، ص328.

² - البداية، ج13، ص27-28.

عظيمة في شعبان قلعة حمص ورمت المنطرة التي على القلعة وأخربت ما بقي من نابلس" (1).

وأرى في أن ابن العماد الحنبلي قد نقل هذه المعلومة عن مؤرخ تحدث عن الزلزلة السابقة التي ضربت الشام في شعبان سنة 597هـ، لكنه أخطأ وأرخ لها في سنة 598هـ . وذلك لأنه ذكر وقوعها في شهر شعبان وهو الشهر الذي وقعت فيها الزلزلة السابقة، ولأن أحداً من المؤرخين الذين اعتادوا أن يؤرخوا للزلازل لم يذكر هذه الزلزلة، ولعله نقل هذه المعلومة عن النسابة الذي أرخ للزلزلة السابقة التي وقعت في شعبان 597هـ، وجعلها في 598هـ، والذي أكد الذهبي أنه أخطأ ووهم عندما فعل ذلك (2).

وفي سنة (600هـ = 1203م)، ضربت الشام زلزلة عظيمة، ووصلت إلى بلدان أخرى مجاورة، "وفيها كانت زلزلة عظيمة عمت أكثر البلاد مصر والشام والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرس، ووصلت إلى الموصل والعراق وغيرها، وخربت من مدينة صور سورها وأثرت في كثير من الشام" (3).

وفي سنة (608هـ = 1211م)، هزت الشام زلزلة أثرت في الكرك والشوبك ووصلت إلى بلدان مجاورة، يتحدث عنها ابن كثير فيقول: "وفيها كانت زلزلة عظيمة شديدة بمصر والقاهرة، هدمت منها دوراً كثيرة، وكذلك بالكرك والشوبك هدمت من قلعتها أبراجاً، ومات خلق كثير من الصبيان والنسوان تحت الهدم" (4).

¹ - شذرات الذهب، ج2، ص334.

² - ينظر: الذهبي، سير أعلام، ج22، ص222.

³ - الكامل، ج10، ص293-294. ينظر: البداية والنهاية، ج13، ص37.

⁴ - البداية، ج10، ص62.

وفي سنة (660هـ = 1261م)، "وقعت رجفة عظيمة في الشام وفي بلاد الروم، ويقال إنه حصل لبلاد التتر خوف شديد أيضاً" (1).

ويفصل القلقشندي الحديث عن هذه الزلزلة فيقول: "وقع بالديار المصرية بمصر والقاهرة والوجهين القبلي والبحري والبلاد الشامية دمشق وصفد والكرك والشوبك وغيرها وسواد العراق زلزلة شديدة تساقطت منها الأبنية، وتشققت الجبال، وتقطعت الصخور، وتفجرت الأرض عيوناً، وخرج الناس من مساكنهم هاربين إلى الصحارى، وظهر أثرها في النيل والبحر الملح، وطما البحر لسببها، حتى أغرق قماش القصارين، وتكسرت القوارب والسفن، وتهدمت الجدران ومنارات الجوامع، ووقع جانب عظيم من منارة الإسكندرية" (2). وفي (شهر صفر سنة 692هـ = يناير 1293م)، "زلزلت ناحية الكرك، وسقط من تلفيتها أماكن كثيرة" (3).

ويذكرها ابن تغري بردي بشيء من التفصيل فيقول: "فيها حصل ببلاد غزة والرملة وقاقون والكرك زلزلة عظيمة، وكان معظم تأثيرها بالكرك، بحيث انهدم ثلاثة أبراج من قلعتها، وبنيان كثير من دورها وأماكنها" (4). وتأثرت الشام بشكل طفيف بزلزلة عظيمة ضربت مصر يوم الخميس (23 ذي الحجة سنة 702هـ = 8 أغسطس 1303م)، حيث يقول ابن كثير: "وكان جمهورها بالديار المصرية، وتلاطمت بسببها البحار، فكسرت المراكب، وتهدمت الدور، ومات خلق كثير لا يعلمهم إلا الله، وشققت الحيطان، ولم ير

¹ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، 235. ينظر: الدارس، ج1، ص358.

² - مآثر الإنافة، ج2، ص114-115.

³ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص333.

⁴ - النجوم الزاهرة، ج8، ص36.

مثلها في هذه الأعصار. وكان منها بالشام طائفة، لكن كان ذلك أخف من سائر البلاد غيرها" (1).

وفي شهر محرم سنة (722هـ = يناير 1322م)، "حصلت زلزلة عظيمة بدمشق وقى الله شرها" (2).

وفي ربيع الأول، (سنة 727هـ = يناير 1327م) "حصلت زلزلة بالشام وقى الله شرها" (3).

وفي (رجب 739هـ = يناير 1339م)، "هلك تحت الزلزلة بطرابلس (الشام) ستون نفساً" (4).

وفي (ذي الحجة سنة 741هـ = مايو 1341م)، "كانت زلزلة عظيمة بمصر والشام والإسكندرية، مات فيها تحت الردم ما لا يحصى، وغرقت مراكب كثيرة، وتهدمت جوامع ومآذن لا تعد" (5).

وفي يوم السبت (15 شعبان 744هـ = 2 يناير 1344م)، ضربت الشام زلزلة تحدث عنها الذهبي فقال: "في منتصف شعبان كانت الزلزلة العظمى العامة، فهدمت مدينة منبج" (6).

وقال عنها ابن كثير: "وفي يوم السبت الخامس عشر من شعبان جاءت زلزلة بدمشق لم يشعر بها كثير من الناس لخفتها والله الحمد والمنة، ثم تواترت

¹ - البداية والنهاية، ج14، ص27.

² - م.ن، ج14، ص101.

³ - م.ن، ج14، ص128.

⁴ - الذهبي، العبر (1)، ج6، ص204. ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج3، ص120.

⁵ - ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج3، ص127.

⁶ - الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج6، ص235.

الأخبار بأنها شعثت في بلاد حلب شيئاً كثيراً. لم يبق منها إلا القليل، وأن عامة الساكنين بها هلكوا تحت الردم، رحمهم الله" (1).

وفي (سنة 768هـ = 1366م)، كانت زلزلة هائلة بصفد (2)، لم أجد ذكراً لها عند غير ابن العماد الحنبلي وفي (سنة 863هـ = 1458م) كانت الزلزلة المهولة بمدينة الكرك أخرجت أماكن من قلعتها ودورها وأبراجها" (3).

وفي يوم الأحد (17 محرم 886هـ = 18 مارس 1481م)، وقعت زلزلة بمدينة دمشق أدت إلى سقوط شرافة جامع دمشق على قاضي الحنفية بمصر شرف الدين بن عبد، فمات منها" (4).

وآخر زلزلة ضربت بلاد الشام في (القرن الثالث عشر الهجري = التاسع عشر الميلادي) حسب ما وجدته في مصادرنا ترجع إلى (13 محرم 1225هـ = 17 فبراير 1810م) (5)، إذ يذكر الجبرتي أن أخبار هذه الزلزلة وصلت إليه في شهر (صفر سنة 1225هـ = 7 مارس 1810م).

ويروي ما وصله فيقول: "وفيه وصلت الأخبار من البلاد الرومية والشامية وغيرها بوقوع الزلزلة في الوقت الذي حصلت فيه بمصر، إلا أنها كانت أعظم وأشد وأطول مدة، وحصل في بلاد كريت إتلافات كثيرة، وهدمت أماكن ودوراً كثيرة، وهلك كثير من الناس تحت الردم، وخسفت أماكن، وتكسر على ساحل مالطة عدة مراكب، وحصل أيضاً باللاذقية خسف، وحكى الناقلون

¹ - البداية والنهاية، ج14، ص211.

² - ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج3، ص210.

³ - ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص127.

⁴ - النعيمي: الدارس، ج1، ص494.

⁵ - ينظر: الجبرتي، عجائب، ج3، ص585، 290-291.

أن الأرض انشقت في جهة من اللاذقية، فظهر في أسفلها أبنية انخسفت بها الأرض قبل ذلك ، ثم انطبقت ثانياً⁽¹⁾.

¹ - م.ن، ج3، ص291.

الخاتمة ونتائج البحث

تم بعون الله تعالى الانتهاء من هذا البحث، وقد توصل الباحث من خلاله إلى العديد من النتائج، وأهمها:

- أن بلاد الشام قد تعرضت لأكثر من تسع وسبعين زلزلة خلال ثلاثة عشر قرناً (ق 1-13هـ).
- أن القرن الذي شهدت فيه بلاد الشام أكثر الزلازل وأعنفها كان القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، إذ تجاوزت فيه الأربعين زلزلة، وبلغ عدد القتلى في واحدة منها (شعبان 597هـ = مايو 1201م) نحو مليون ومائة ألف إنسان.
- أن الزلازل قد أثرت كثيراً في مجتمع بلاد الشام إذ قتل وشرد بسببها الكثير من السكان، ودمرت بسببها العديد من المدن العامرة.
- أن أكثر مناطق الشام تعرضاً وتأثراً بالزلازل خلال مدة الدراسة هي مناطق ومدن سوريا الحالية، وأن أقلها تعرضاً وتأثراً بها هي مناطق ومدن فلسطين الحالية.
- أن أكثر المدن الفلسطينية إصابة بالخسائر البشرية والمادية بسبب الزلازل هي نابلس والرملة.
- أن المناطق الداخلية من بلاد الشام تعرضت لزلازل أكثر وأعنف من المناطق الساحلية.
- أن العديد من الزلازل التي ضربت بلاد الشام، ضربت في الوقت نفسه، مناطق أخرى خارج الشام كمصر والعراق وبلاد المغرب والأندلس.

- أن الزلازل التي ضربت بلاد الشام رافقتها في بعض الأحيان تأثيرات وظواهر طبيعية وبيئية، كغور بعض الأنهار، وجزر كبير في مياه البحر، وتصاعد أعمدة من الدخان الأسود المنتن.
- أن الزلازل في بلاد الشام قد تسببت في كوارث وفواجع إنسانية مؤلمة، حركت مشاعر وأقلام العديد من شعراء الشام.
- أن حكام المسلمين في بعض العصور تحملوا مسئولية تعمير ما خربته الزلازل من بنيان، وعوضوا الناس عن بعض خسائرهم المادية.
- أن بلاد الشام معرضة للزلازل، والواجب على حكامها وعلمائها ومهندسيها أخذ التدابير الواقية لأرواح أهلها وممتلكاتهم.

الزلازل في مصر¹

(من القرن 1-13 هـ / 7-19م)

¹ - محكم ومنشور في مجلة العصور - المجلد الخامس عشر - 2005م

ملخص البحث:

جاء هذا البحث ليسد النقص الكبير في مجال التوثيق التاريخي للزلازل التي ضربت مصر من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجريين. وقد أجرى الباحث توثيقاً لكل زلزال، من حيث زمان ومكان حدوثه، والأضرار المادية والبشرية التي رافقته، واعتمد في ذلك على أكثر من 17 مصدراً أولياً. وقد تبين أن مصر قد تعرضت خلال المدة التي تناولها الباحث لنحو تسع وعشرين زلزلة، تم تسجيل جميع التفاصيل المتعلقة بها. وخلص الباحث إلى العديد من النتائج المهمة وقدم قاعدة معلوماتية مهمة للمؤرخين والعلماء والمهتمين.

البحث:

أول تاريخ وجدته في مصادرها الإسلامية للزلازل في مصر في العهد الإسلامي هو سنة (180 هـ/796م)، وقد أجمع المؤرخون على أن الزلزلة في هذه السنة كانت عظيمة أدت إلى سقوط رأس منارة الإسكندرية¹. ولم يشيروا إلى حدوث زلازل خارج مصر في تلك السنة.

وفي شهر (ذي الحجة، من سنة 242 هـ/أبريل 857م)، "نال أهل مصر زلزلة عمّت حتى اضطربت سواري المسجد، وتهدمت البيوت والمساجد"².

¹ . الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج4، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1407 هـ، ص649؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الحوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (حتى 257 هـ)، ج9، بيروت، دار صادر، ط1، 1358 هـ، ص46؛ ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، ج5، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1415 هـ-1995م، ص311؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، العبر في خبر من غبر، ج1، تحقيق: صلاح الدين المنجد، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1948م، ص275؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي أبو الفداء، البداية والنهاية، ج10، بيروت، مكتبة المعارف، د ت، ص175؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج2، مصر، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص99؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، ج1، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، 1371 هـ-1952م، ص288؛ الحنبلي، عبد الحي بن أحمد الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج1، بيروت، دار الكتب العلمية، د ت، ص293.

² . اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي، تاريخ اليعقوبي، ج2، بيروت، دار صادر، د ت ص491.

ولم أعرثر على معلومات عن حدوث زلازل في شهر ذي الحجة من سنة 242هـ في أقطار الدولة الإسلامية، لكن مصادرنا أشارت إلى زلزلة شديدة أصابت قومس والدامغان والري وطبرستان ونيسابور وأصبهان وجرجان وخراسان في شعبان من هذه السنة¹.

"حتى مات بقومس خلق كثير، ونالتهم رجفة يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان [22-ديسمبر-856م]، فمات فيها زهاء مائتي ألف، وخسف بعدة مدن بخراسان"².

وفي سنة (245هـ/859م) "زلزلت مصر، وسمع أهل بلبيس³ من ناحية مصر صيحة هائلة، فمات خلق من أهل بلبيس"⁴.
وتحدّث كل من الطبري⁵ وابن كثير⁶ والحنبلي⁷. عن زلازل شديدة وقعت في هذه السنة في بلاد الشام، وذكروا أن الذين سمعوا الضجة الهائلة من أهل مصر هم أهل تنيس⁸، لكنهم لم يذكروا أنّ الزلازل قد ضربت مصر.

¹ . اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص 491؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، سير أعلام النبلاء، ج12، تحقيق؛ شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1413هـ، ط9، ص37؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص307؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص 99-100.

² . اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص 491.

³ . بلبيس: "مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام".

ينظر: ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج1، بيروت، دار الفكر، ص479.

⁴ . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص219؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج1، ص349.

⁵ . تاريخ، ج5، ص328؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص346؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص107.

⁶ . البداية والنهاية، ج10، ص346.

⁷ . شذرات الذهب، ج1، ص107.

⁸ . تنيس: جزيرة في بحر، قريبة من البرما بين الفرما ودمياط، ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص51.

والظاهر أن الزلزلة قد ضربت مصر فعلاً مثلما ذكر ابن تغري بردي والسيوطي، لكنها كانت خفيفة، لأنهما لم يتحدثا عن هدم حصل في مصر، وإنما تحدثا عن موت نتيجة للصيحة الهائلة التي رافقت الزلزلة¹، ومما يؤكد صحة وقوعها في مصر، أنها كانت واسعة، حيث ضربت بلاد المغرب والعراق والشام²، ووصفت بأنها قد عمّت الدنيا³.

ويبدو أن السبب في عدم قول الطبري أنها وصلت إلى مصر، أنها كانت خفيفة لم تؤدّ إلى هدم أو خراب، أما ابن كثير فلم يشر إلى حدوثها لأنه نقل هذا الخبر عن الطبري⁴.

وفي سنة (267هـ/880م) في العهد الطولوني ضربت مصر زلزلة وصفت بأنها عظيمة، لكن لم تتوفر معلومات عن حجم الخسائر والأضرار التي ألحقتها، ولم تقتصر هذه الزلزلة على مصر، بل ضربت أيضاً الشام وبلاد الجزيرة وأفريقيا والأندلس⁵.

وقد حدّد الناصري تاريخ حدوثها، فذكر أنه يوم الخميس، (الثاني من شوال سنة 267هـ/4 مايو 881م)، وتحدّث عن قوّتها في بلاد المغرب، وحجم الخسائر المادية التي ألحقتها⁶، وأنه مع ذلك "لم يمت فيها أحد لطفاً من الله تعالى

¹ . الطبري، تاريخ، ج5، ص328؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص219؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج1، ص349.

² . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص219.

³ . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج12، ص38؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج1، ص349.

⁴ . ينظر: البداية والنهاية، ج10، ص346.

⁵ . ابن الأثير، الكامل، ج6، ص307.

⁶ . الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1997م، ط1، ص237.

بخلقه"¹، كما تحدّث الطبري عن وقوعها في بغداد، وأنها كانت هائلة²، ولكن "وقى الله شرّها وصرف مكروها"³.

وفي سنة (271هـ/884م) في العهد الطولوني أيضاً "كان بمصر زلزلة عظيمة انهدمت منها منارة الإسكندرية"⁴.

وفي (جمادي الآخرة من سنة 272هـ/نوفمبر 885م) في العهد الطولوني أيضاً⁵، ضربت مصر "زلزلة شديدة خربت الدور والمسجد الجامع، وأحصي بها في يوم واحد ألف جنازة"⁶.

وفي سنة (344هـ/955م) في العهد الأخشيدي "زلزلت مصر زلزلة صعبة هدمت البيوت، ودامت ثلاث ساعات، وفرّج الناس إلى الله بالدعاء"⁷.

وضربت مصر في (جمادي الأولى من سنة 460هـ/مارس 1068م) في العهد الفاطمي زلزلة، لم يتحدّث المؤرخون عن آثارها في مصر⁸، لأنها لم

¹ . م.ن، ج1، ص237.

² . الطبري، تاريخ، ج5، ص540.

³ . م.ن، ج5، ص540.

⁴ . القلقشندي، أحمد بن عبد الله، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج1، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1985م، ص256.

⁵ . ابن الأثير، الكامل، ج6، ص346.

⁶ . م.ن، ج6، ص346.

ينظر: الطبري، تاريخ، ج5، ص593؛ ابن الجوزي، المنتظم (من 257هـ—)، ج5، ص85؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص162.

⁷ . السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج1، ص399؛ ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص313.

⁸ . السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج1، ص399؛ ينظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص313.

تكن شديدة فيما يبدو، إذ كان مركزها مدينة الرملة التي أصابها تدمير كبير، حيث وصفها ابن الأثير بقوله: "خربت الرملة وطلع الماء من رؤوس الآبار، وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألف نسمة"¹.

كما ضربت مصر زلزلة أخرى يوم الثلاثاء (11 جمادي الأولى - سنة 462هـ/25 - 2 - 1070م) أدت إلى تدمير في تنيس²، وهدم في إحدى زوايا جامع مصر، لكن مركز هذه الزلزلة كان في الرملة وأعمالها³، إذ يصفها ابن كثير بقوله: "كانت زلزلة عظيمة بالرملة وأعمالها، فذهب أكثرها وانهدم سورها"⁴.

وفي (12 شوال من سنة 565هـ/الأحد 28-6-1170م) في أواخر العهد الفاطمي هزت مصر "زلزلة عظيمة لم ير الناس مثلاً"⁵، وقد ضربت هذه الزلزلة أيضاً "الشام والجزيرة والموصل والعراق وغيرها، وتهدمت أسوارها وقلاعها، وسقطت الدور على أهلها، وهلك من الناس ما يخرج عن العدد والإحصاء"⁶.

¹ . ابن الأثير، الكامل، ج8، ص381؛ القلقشندي، مآثر الإنافة، ج1، ص343.

² . ابن الأثير، الكامل، ج8، ص381.

³ . ابن الجوزي، المنتظم (من 257هـ)، ج8، ص256.

⁴ . ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص99.

⁵ . م.ن، ج12، ص99.

⁶ . أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي، كتاب الروضتين في اختبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2، تحقيق: إبراهيم الزبيق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1997، ص154.

ولم ترد معلومات عن الخسائر التي تسببت بها هذه الزلزلة في مصر، وذكر الذهبي أنها أدت إلى فشل الفرنجة في دخول دمياط، إذ اضطروا بسببها على فك الحصار عنها بعد أن استمرَّ خمسين يوماً¹.

وفي (شعبان من سنة 597هـ/ مايو 1201م) في العهد الأيوبي هزّت مصر زلزلة تحدّث المؤرخون عن شدّتها فوصفوها بالعظمى²، والهائلة³، والكبرى⁴، وذكروا أنها "هدمت بنيان مصر، فمات تحت الهدم خلق كثير"⁵، وأنَّ إماماً في الإسكندرية صلّى يوم الجمعة على سبعمائة جنازة من ضحايا هذه الزلزلة⁶.

ولم تقتصر هذه الزلزلة على مصر، بل امتدت إلى الشام، فدمرت كثيراً من مدنها، وأوقعت خسائر مادية وبشرية فادحة، وقدرت خسائرها في مصر

¹ . م.ن، ج2، ص154.

لمزيد من التفاصيل عن آثار هذه الزلزلة في بلاد الشام.

ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج10، ص24؛ الذهبي، العبر، ج4، ص189؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20، ص417؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص261.

² . سير أعلام النبلاء، ج2، ص417.

³ . الذهبي، العبر، ج4، ص296؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج2، ص328.

⁴ . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص174.

⁵ . السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج1، ص455.

⁶ . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص174.

ينظر: الذهبي، العبر، (1)، ج4، ص296؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص221-222؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج1، ص455.

وغيرها بمليون ومائة ألف نسمة¹، وأحصي عدد من مات تحت الهدم في نابلس وحدها، فكان ثلاثين ألف نسمة².

ولا نستبعد أن تكون هذه الأرقام قريبة من الدقة بالرغم من ضخامتها، لأننا نسمع في وقتنا الحاضر عن زلازل تؤدي إلى موت عشرات الألوف في بلد واحد، بالرغم من التطور الكبير في مجال الهندسة والبناء ووسائل الإنقاذ. وشهدت مصر زلزلة سنة (600هـ/1204م) في العهد الأيوبي أيضاً³، وقد ضربت هذه الزلزلة أيضاً "الشام والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرص، ووصلت إلى الموصل والعراق وغيرها، وخربت من صور سورها، وأثرت في كثير من الشام"⁴.

والظاهر أنها كانت خفيفة في مصر إذ لم تؤدِّ إلى دمار وخسائر بشرية، ولو حدثت خسائر لسجلت ذلك كتب التاريخ التي جاءت بخبر هذه الزلزلة. وفي سنة (608هـ/1211م) في العهد نفسه "كانت زلزلة عظيمة شديدة بمصر والقاهرة، هدمت فيها دوراً كثيرة، وكذلك بالكرك والشوبك هدمت من قلعتها أبراجاً، ومات خلق كثير من الصبيان والنساء تحت الهدم"⁵.

وفي سنة (660هـ/1261م) في العهد المملوكي البحري "وقع بالديار المصرية بمصر والقاهرة والوجهين القبلي والبحري والبلاد الشامية دمشق

¹ . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص220.

² . ينظر تفاصيل ذلك عند: الذهبي، العبر، ج4، ص296؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص ص221-222؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص174؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج1، ص455، الحنبلي، شذرات، ج2، ص328.

³ . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص ص221-222.

⁴ . ابن الأثير، الكامل، ج10، ص ص293-294؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص37.

⁵ . ابن الأثير، الكامل، ج10، ص ص293-294.

وصفد والكرك والشوبك وغيرها وسواد العراق زلزلة شديدة تساقطت منها الأبنية، وتشققت الجبال، وتقطعت الصخور، وتفجرت الأرض عيوناً، وخرج الناس من مساكنهم هاربين إلى الصحاري، وظهر أثرها في النيل والبحر الملح، وطما البحر لسببها، حتى أغرق قماش القصارين، وتكسرت القوارب والسفن، وتهدمت الجدران ومنارات الجوامع، ووقع جانب عظيم من منارة الإسكندرية¹. وفي سنة (662هـ/1263م) "زلزلت مصر زلزلة عظيمة"²، ولكن لم ترد معلومات عن حجم الخسائر التي أحدثتها، وكانت هذه الزلزلة في عهد السلطان بيبرس البندقداري، وقد أشار إليها أبو الحسن عبد الله البرقي في الأبيات التي يمتدح فيها الحاكم بأمر الله حيث يقول:

بالحاكم العدل أضحى الدين معتلياً نجل الهدى وسليل السادة الصلحا
ما زلزلت مصر من كيد يراد بها وإنما رقصت من عدله فرحاً³.
وفي (ذي القعدة من سنة 702هـ/يوليو 1303م) في العهد المملوكي البحري أيضاً أيام السلطان الناصر محمد "زلزلت مصر، وتساقطت الدور، ومات بالإسكندرية تحت الردم نحو المائتين"⁴.

وفي سنة 702هـ أيضاً "جاءت زلزلة عظيمة يوم الخميس بكرة [الثالث والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة / 8-8-1303م]، وكان جمهورها بالديار المصرية، وتلاطمت بسببها البحار ولم يُرَ مثلها في هذه

¹ . ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص62.

ينظر: الحنبلي، شذرات الذهب، ج3، ص32.

² . القلقشندي، مآثر الإنافة، ج2، ص ص 114-115.

ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص235.

³ . ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص389.

⁴ . ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص389.

الأعصار. وكان منها بالشام طائفة، لكن كان ذلك أخف من سائر البلاد غيرها¹.

وعن هذه الزلزلة يقول ابن تغري بردي: "وفيها كانت بمصر والقاهرة زلزلة عظيمة أخرجت عدة منائر ومبانٍ كثيرة من الجوامع والبيوت، حتى أقامت الأمراء ومباشرو الأوقاف مدة طويلة، ترمم وتجدد ما تشعث فيها من المدارس والجوامع حتى منارة الإسكندرية"². وعنها أيضاً يقول السيوطي: "وفيها زلزلت مصر والشام زلزلة عظيمة هلك فيها خلق تحت الهدم"³.

وقد تحملت الدولة في مصر عمليات الإصلاح والترميم لكل ما تهدم بسبب هذه الزلزلة من مرافق عامة كالمدارس والجوامع والمنارات⁴، ويروي السيوطي أنَّ الأمير بيبرس الجاشنكير المنصوري جدّد سنة (703هـ/1303م) بناء جامع الحاكم بعد خرابه من هذه الزلزلة خاصة مُذَنَّتِيهِ⁵.

وقد ضربت هذه الزلزلة أيضاً مكة والمدينة، وأحدثت فيهما خسائر وأضراراً، حملت "سلار" نائب السلطان محمد بن قلاوون على دفع ديون غالب الناس في مكة والمدينة، وإعطاء كلٍّ منهم قوت سنة⁶.

ويذكر ابن تغري بردي في أحداث سنة (703هـ/1303م) أنَّ السلطان محمد بن قلاوون "انتدب الأمراء لعمارة ما خرب من الجوامع بالزلزلة في السنة الماضية، وأنفقوا فيها مالاً جزيلاً"⁷.

¹ . الذهبي، العبر في خبر من غر(1)، ج6، ص ص 20-21.

² . ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص27.

³ . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص201.

⁴ . السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج1، ص484.

⁵ . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج8، ص201.

⁶ . ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص33؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج1، ص484.

⁷ . السخاوي، شمس الدين، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، بيروت، دار الكتب

العلمية، ط1، ج1، ص411.

وفي سنة (725هـ/1324م) في أيام السلطان الناصر محمد أيضاً
"زلزلت القاهرة زلزلة لطيفة"¹.

وفي (ذي الحجة من سنة 741هـ/يونيو 1341م) كانت زلزلة عظيمة
بمصر والشام والإسكندرية مات فيها تحت الردم ما لا يحصى، وغرقت مراكب
كثيرة، وتهدمت جوامع ومآذن لا تعد².

وتحدث السيوطي عن زلزلة ضربت مصر يوم الأحد، (17
محرم 886هـ/ 18 مارس 1481م) في العهد المملوكي الجركسي أيام السلطان
قايتباي فقال: "زلزلت الأرض يوم الأحد بعد العصر، سابع عشر المحرم زلزلة
صعبة ماجت منها الأرض والجبال والأبنية موجاً، ودامت لحظة لطيفة ثم سكنت
فالحمد لله على سكونها وسقط بسببها شرافة من المدارس الصالحية على قاضي
القضاة الحنفي شرف الدين بن عيد فمات، فإننا لله وإننا إليه راجعون"³.

وضربت هذه الزلزلة أيضاً مناطق أخرى كدمشق⁴، ومكة المكرمة⁵،
وقد أكد ذلك صاحب الشذرات بقوله: "وفيها في سابع عشر المحرم، كانت بمكة
زلزلة هائلة لم يسمع بمثله"⁶.

وفي سنة (984هـ/1576م) في العهد العثماني وقعت في مصر زلزلة
لم تتوفر لدينا معلومات عنها، غير أنها حملت نور الدين أبي الحسن علي بن

¹ . النجوم الزاهرة، ج8، ص208.

² . السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج1، ص510.

³ . السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج1، ص515؛ ينظر: النعيمي، عبد القادر بن محمد، المدارس
في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ،
ص ص 493-494.

⁴ . النعيمي، المدارس، ج1، ص ص 493-494.

⁵ . الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص344.

⁶ . م.ن، ج4، ص344.

محمد الجزار المصري (ت: 984هـ/1576م) على تأليف رسالة عن الزلازل بعنوان: "تحصين المنازل من هول الزلازل"¹.

وقد سبق لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ/1505م) أن ألّف في مصر كتاباً عن الزلازل أسماه "كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة"، وقد ألّفه في أوائل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي².

وأكد الجبرتي أن مصر قد شهدت زلزلة في (2 رجب سنة 1122هـ/الأربعاء 27-8-1710م) لكنه لم يقدم عنها أية معلومات³، كما لم أجد لها ذكراً في المصادر الأخرى.

وظنّ سكان القاهرة يوم الثلاثاء (10 رمضان 1201هـ/ 26-6-1787م) أن زلزلة قد ضربت ديارهم، ففزعوا وتدافعوا في السوق، وأخذ التجار في خان البهار يحملون بضائعهم ويهربون، ثم تبين لهم أن الارتجاج والصوت الذي سمعوه ناجم عن انفجار كمية كبيرة من البارود الإنجليزي وصلت إليه النار بطريق الخطأ⁴.

وفي (12 رمضان سنة 1204هـ/ الخميس 27-5-1790م) حصل زلزلة لطيفة في سادس ساعة من الليل⁵.

¹ . القسطنطيني، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1، بيروت، دار الكتب العلمية 1413هـ-1992، ص 360.

² . القسطنطيني، كشف الظنون، ج2، ص1491.

³ . الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج1، بيروت، دار الجيل، دت، دط، ص65.

⁴ . م.ن، ج2، ص25.

⁵ . م.ن، ج1، ص56؛ ج2، ص86.

ويروي الجبرتي حادثة طريفة وقعت في (أواخر شهر جمادي الأولى من سنة 1205هـ/ فبراير 1791م)، فيقول: "أشيع في الناس أن في ليل السابع والعشرين، نصف الليل يحصل زلزلة عظيمة، وتستمر سبع ساعات، ونسبوا هذا القول إلى أخبار بعض الفلكيين من غير أصل، واعتقده الخاصة فضلاً عن العامة، وصمموا على حصوله من غير دليل لهم على ذلك، فلما كانت تلك الليلة خرج غالب الناس إلى الصحراء وإلى الأماكن المتسعة، مثل بركة الأربكية والفيل وخلافهما، ونزلوا في المراكب، ولم يبق في بيته إلا من ثبته الله، وباتوا ينتظرون ذلك الصباح، فلم يحصل شيء، وأصبحوا يتضحكون على بعضهم"¹. وتدل هذه الحادثة على شدة خوف الناس في مصر من الزلازل، وعلى أثرها في نفوسهم وتفكيرهم وحياتهم.

ويذكر أيضاً أنه في ليلة الأحد (2 جمادي الثانية سنة 1216هـ/ 10-1801م) حصلت زلزلة في مصر في ثالث ساعة من الليل²، لكنه لم يقدم عنها أية تفاصيل.

كما يشير إلى زلزلة أخرى وقعت في مصر يوم الثلاثاء (5 ربيع الثاني 1220هـ/ 2-7-1805م)³، فيقول: "وفي ذلك اليوم وقت الشروق حصلت زلزلة عظيمة، وارتجت الأرض نحو أربع درجات"⁴.

ويتحدث عن زلزلة ضربت مصر في ليلة السبت، 13 محرم 1225هـ/ 17-2-1810م)⁵.

¹ . م.ن، ج2، ص94.

² . م.ن، ج2، ص449.

³ . م.ن، ج3، ص73.

⁴ . م.ن، ج3، ص73.

⁵ . م.ن، ج3، ص285.

ويفصّلها بقوله: "حصلت زلزلة عجيبة، وارتجت الجهات ثلاث درجات متواليات، واستمرت نحو أربع دقائق، فانزعج الناس منها في منامهم، وصار لهم جلبة وقلق، وخرج الكثير من دورهم هاربين إلى الأزقة يريدون الخلاص إلى الفضاء مع بعده عنهم، وكان ذلك في أول الساعة السابعة من الليل، وأصبح الناس يتحدثون فيما بينهم، وسقط بسببها بعض حيطان ودور قديمة، وتشققت جدران، وسقطت منارة بسوس، ونصف منارة بأم أخان بالمنوفية وغير ذلك لا نعلمه. وفي عصر يوم السبت أيضاً حصلت زلزلة، ولكن دون الأولى، فانزعج الناس منها أيضاً، وهاجوا ثم سكنوا، ثم كثر لغط العالم بمعاودتها، فمنهم من يقول: ليلة الأربعاء، ومنهم من أسنده لبعض النصارى واليهود، وأن رجلاً نصرانياً ذهب إلى الباشا، وأخبره بحصول ذلك، وأكد في قوله، وقال له احبسنى حتى يمضي الوقت الذي عينه ليظهر صدقه من كذبه، وكل ذلك من تخيلاتهم واختلافاتهم وأكاذيبهم، وما يعلم الغيب إلا الله".¹

وفي (صفر سنة 1225هـ/ مارس 1810م) "وصلت الأخبار من البلاد الرومية والشامية وغيرها بوقوع الزلزلة في الوقت الذي حصلت فيه بمصر إلا أنها كانت أعظم وأشد وأطول مدة، وحصل في بلاد كريت إتلافات كثيرة، وهدمت أماكن ودوراً كثيرة، وهلك كثير من الناس تحت الردم"². وهي أخبار الزلزلة سالفة الذكر التي وقعت في (13 محرم 1225هـ/ 17-2-1810م).

ويواصل الجبرتي حديثه عن شائعة أفزعت أهل مصر حدثت يوم الخميس (18 محرم 1225هـ/ 22-2-1810م) فيقول: "شاع في الناس حصول زلزلة تلك الليلة وهي ليلة الجمعة، ويكون ذلك في نصف الليل، فتأهب غالب الناس للطلوع بخارج البلد، فخرجوا بنسائهم وأولادهم إلى الشيخ قمر

¹ . م.ن، ج3، ص285.

² . م.ن، ج3، ص ص 290-291.

ووسط بركة الأزبكية وغيرها. كذلك خرج الكثير من العسكر أيضاً، ونصبوا خياماً في وسط الرمييلة وقراميدان والقرافتين، وقاسوا تلك الليلة من البرد ما لا يكيف ولا يوصف، لأن الشمس كانت ببرج الدلو وهو وسط الشتاء، ولم يحصل شيء مما أشاعوه وأذاعوه وتوهموه، وتسلق العيارون والحرامية تلك الليلة على كثير من الدور والأماكن وفتشوها، فلما أصبح يوم الجمعة كثر التشكي إلى الحكام من ذلك فنادوا في الأسواق بأن لا أحد يذكر أمر الزلزلة، وكل من خرج لذلك من داره عوقب فانكفوا وتركوا هذا اللفظ الفارغ¹.

وفي ليلة الاثنين (9 رجب 1229هـ / 27-6-1814م) "حصلت في وقت أذان العشاء زلزلة نحو دقيقتين، وكان المؤذنون طلّعوا على المنارات وشرعوا في الأذان، فلما اهتزت بهم ظن كل من كان على منارة سقوطها، فأسرعوا بالنزول، فلما علموا أنها زلزلة طلّعوا وأعادوا الأذان، وسقط من شرائف الجامع الأزهر شرافة، وتحركت الأرض أيضاً في خامس ساعة من الليل، ولكن دون الأولى، وكذلك وقت الشروق هزة لطيفة².

وفيما يلي جدول توضيحي مفصل يعرض أهم المعلومات الواردة في البحث عن الزلازل في مصر بصورة منظمة تمكن المهتمين من الوصول إليها بسهولة:

¹ . م.ن، ج3، ص ص 286-287.

² . م.ن، ج3، ص462.

الخاتمة ونتائج البحث:

تم بعون الله تعالى إتمام هذا البحث، وقد توصل الباحث إلى العديد من النتائج وأهمها:-

- ❖ أن مصادرنا الإسلامية قد أحصت تسعاً وعشرين زلزلة، ضربت مصر منذ فتحها وحتى النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري.
- ❖ أن كثيراً من الزلازل التي تعرضت لها مصر كانت شديدة أدت إلى خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات والمباني العامة.
- ❖ أن بعض الزلازل كانت خفيفة لم ينجم عنها إلا القليل من الخسائر.
- ❖ أن كثيراً من الزلازل التي ضربت مصر، امتدت في الوقت نفسه إلى الشام، وأحياناً إلى المغرب والعراق والجزيرة الفراتية وإلى الحجاز.
- ❖ أن السكان في مصر كانوا يرهبون الزلازل ويفزعون منها لكثرة ما سمعوا وشاهدوا ويلاتها.
- ❖ أن بعض علماء المسلمين اهتموا بالزلازل، وكيفية تحصين المنازل منها.
- ❖ أن عدداً من الحكام والأمراء في مصر اهتموا بإصلاح ما خربته الزلازل، وقدموا العون للمتضررين منها.
- ❖ أن العلماء في مصر لم يتوصلوا لمعرفة الزلازل قبل وقوعها، وأن الناس كانوا يصدقون الإشاعات الصادرة عن بعض المنجمين بخصوص مواعيد قدوم هذه الزلازل، فيغادرون بيوتهم إلى المناطق الصحراوية والواسعة وإلى المراكب في البحار والنهار.

الزلازل في العراق¹

(ق3- 7هـ = ق9- 13م)

¹ - بحث محكم مشترك مع الباحث محمد حمزة صلاح، ومنشور في مجلة كلية الآداب-
جامعة القاهرة- عدد أكتوبر-2011م.

ملخص البحث:

تناول الباحثان موضوع الزلازل التي ضربت العراق منذ القرن الثالث إلى القرن السابع الهجري/ التاسع إلى الثالث عشر الميلادي، وبعد الخوض والتمحيص في المصادر والمراجع العربية والأجنبية المتوفرة، تبين للباحثين أن أربعاً وأربعين زلزلة قد هزت العراق خلال هذه المدة، وأن خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات قد نجمت عنها، وأن كثيراً من زلازل العراق كان يعقبها هزات ارتدادية، وأن بعض هذه الهزات كانت تستمر مدداً طويلة، وأن كثيراً منها قد ضرب في الوقت نفسه بلداناً مجاورة أو بعيدة، كمصر والشام والأندلس والقسطنطينية والمغرب وخراسان، وكانت مدمرة في تلك البلدان مما يدل على أن مراكز بعضها كان خارج العراق، وأن عدداً من الزلازل التي ضربت بلاد العراق وصفت باليسيرة، وأن بعضها وصف بالشدة والعظمة، لكن لم ينجم عنها خسائر بشرية، وأن بعض هذه الزلازل تسببت بخسائر فادحة في الأرواح والممتلكات.

Abstract:

The two researchers examined the earthquakes that hit Iraq since the third century to the seventh century(Hijri) / the ninth to thirteenth A.D. After searching the available Arabic and foreign references, the two researchers found that forty four quakes shook Iraq during this period which resulted in great losses in properties and people. They also found that a lot of Iraqi quakes were followed by reflective ones some of which lasted long periods. And a lot of these quakes hit, in the same time, neighboring or remote countries, as Egypt, el-Sham , el-Andalus, Constantinople, Morocco and Khorasan. They were destructive in these countries which shows that the center of some of these quakes was outside Iraq and some of the quakes that hit Iraq were simple and others were great, some of these great quakes resulted in human and property losses, others didn't.

البحث:

لم يجد الباحثان في المصادر الإسلامية التي وصلا إليها أي ذكر لزلازل ضربت العراق في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، وأول زلزلة ذكرت مصادرنا أنها ضربت العراق كانت في (رمضان 186هـ = سبتمبر-أيلول 802م) حيث هزت بغداد رجفة شديدة بين المغرب والعشاء، ولم ترد أية معلومات عن خسائر نتجت عنها⁽¹⁾.

وفي سنة (232هـ = 846م) ذكر المؤرخون أنه "كثرت الزلازل في الدنيا"، وخصوصاً في بلاد المغرب والشام والجزيرة⁽²⁾ والموصل، وقد أدت إلى خسائر بشرية، وأضرار عمرانية كبيرة⁽³⁾.

وهذا يعني أن أهل العراق منذ فتحها العربي الإسلامي في العقد الثاني من القرن الأول الهجري، وحتى سنة (231هـ = 845م)، -وهي مدة تزيد على القرنين- عاشوا دون أن تؤذيهما الزلازل، أو تلحق بهما خسائر مادية أو بشرية

¹ - ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، ط1، دار الكتب العلمية، 1412هـ-1992م) ج9، ص110.

² - الجزيرة: هي الأرض الواقعة بين نهري دجلة والفرات وتشتمل على ديار مضر وديار بكر، سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات،...، ومن أمهات مدنها حران والرها والرقعة ورأس العين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وآمد وميافارقين والموصل وغير ذلك (ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، ط1، دار الكتب العلمية، د.ت، ج2، ص156).

³ - المنتظم، ج11، ص176-177؛ السيوطي، جلال الدين، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، مخطوط، نسخة المكتبة الأزهرية، رقم 2491 عام، 130 خاص، لوحة 11 أ؛ العجلوني، أبي الفداء إسماعيل بن محمد، تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة، تحقيق: سفيان بن عايش بن محمد، دار ابن الجوزي، ط1، الأردن، 1425هـ، ص77.

فادحة، ولا شك أنه كان لذلك أثره الإيجابي على العراق وأهله، فقد أسهم في حالة الاستقرار والتحضر التي عرفها العراق خلال تلك الحقبة، إذ عاش الإنسان فيها آمناً مطمئناً مستقراً، ولا شك أن للأمن والاستقرار أثره الإيجابي المشجع على البناء والتعمير والإنتاج الاقتصادي، كما حافظ ذلك على حضارة العراق وما بناه الإنسان العراقي خلال هذه المدة، وحفظ ما تبقى من حضارات العصور الماضية، وجنب العراقيين نكبات اجتماعية واقتصادية ونفسية تصيب البلدان التي تتعرض لزلازل مدمرة.

وفي يوم الخميس (11 ربيع الثاني 233هـ=23 نوفمبر 847م) عادت الزلازل لضرب بلاد الشام والموصل، وألحقت بها خسائر بشرية وأضرار مادية كبيرة، وقد وصف عدد من المؤرخين شدتها، فقال ابن الجوزي: "وعظمت الزلازل بأنطاكية، ومات من أهلها خلق كثير، وكذلك الموصل"، وقد هزت هذه الزلزلة دمشق والبلقاء، وهدمت عدداً كبيراً من منازلهما⁽¹⁾.

وقال الذهبي: " وفيها جاءت زلزلة مهولة بدمشق، سقطت فيها شرفات الجامع، تصدع حائط المحراب، وسقطت منارته، وهلك خلق تحت الردم، وهرب الناس إلى المصلى باكين متضرعين، وبقيت ثلاث ساعات، وسكنت...وامتدت إلى أنطاكية، فهدمتها، وإلى الجزيرة فأخربتها، وإلى الموصل"⁽²⁾.

¹ - المنتظم، ج11، ص190.

² - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، 1407هـ - 1987م، ج17، ص11.

وقال السيوطي: " وترايلت الحجارة العظام، ووقعت المنارة، وسقطت القناطر
والمنازل... وخرج الناس إلى المصلى يتضرعون إلى قرب نصف النهار،
فسكنت الدنيا" (1).

ويذكر بعض المؤرخين أن عدد قتلى هذا الزلزال في مدينة الموصل
بلغ خمسين ألفاً (2) وهذا يبين شدة هذا الزلزال.

وفي (رجب 233هـ = فبراير 848م) وقعت زلزلة شديدة في الموصل
تزامنت مع صواعق وأمطار غزيرة أغرقت كثيراً من الناس واقتلعت مائتي
نخلة، وقد مات بسبب هذه الزلزلة أكثر من عشرة آلاف، أما الذين ماتوا غرقاً
فكانوا أكثر (3).

وذلك يعني أن الموصل خسرت في سنة واحدة وخلال نحو ثلاثة أشهر
أكثر من سنتين ألف قتيل، بسبب الزلازل، فضلاً عن الدمار الكبير الذي شهدته
المدينة، ولا شك أن لتلك الخسائر البشرية والمادية آثار سلبية عظيمة على
المجتمع والسلطة، تشمل مختلف النواحي النفسية والاقتصادية والحضارية.
وإن التزامن بين هذه الزلزلة المدمرة والصواعق والأمطار الشديدة
المسببة لغرق كثير من السكان يتطلب من العلماء المتخصصين توقفاً لدراسة

¹ - كشف الصلصلة، مخطوط، لوحة 11أ.

² - تاريخ الإسلام، ج17، ص11؛ ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين، النجوم
الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب
العلمية، بيروت ،لبنان، د.ت. ، ج2، ص326؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، خرج أحاديثه: أحمد
بن شعبان بن أحمد ، ط1، مكتبة الصفا ،مصر، 1426هـ-2005م، ص261.

³ - المنتظم، ج11، ص190-191؛ ابن العماد الحنبلي، أبي الفلاح عبد الحي ، شذرات
الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية ،د.ت، ج2 ص77.

العلاقة بين الزلازل وبعض الظواهر الطبيعية، خصوصاً أنها ظاهرة تكررت في عدد من الزلازل في العراق وغيره.

وفي سنة (245هـ=859 م) "عمت الزلازل الدنيا، فأخربت القلاع والمدن والقناطر، وهلك خلق بالعراق والمغرب، وسقط من أنطاكية ألف وخمسمائة دار ونيف" (1)، و " عبرت الزلزلة الفرات بعد أن هدمت بالس(2) وما حولها، وامتدت إلى خراسان، فمات خلق لا يحصون" (3). وذكر المؤرخون(4) أن أهم المناطق التي ضربتها هذه الزلزلة في العراق هي بغداد والمدائن(5).

ولا تمдна المصادر بمعلومات كافية عن مدى الأضرار التي أحدثتها هذه الزلازل فيها.

¹ - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج18، ص 14؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص382؛ وينظر: السيوطي، كشف الصلصلة، مخطوط، لوحة 11 ب؛ العجلوني، تحريك السلسلة، ص78.

² - بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقّة (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص391.)

³ - السيوطي، كشف الصلصلة، مخطوط، لوحة 12 أ؛ العجلوني، تحريك السلسلة، ص79.

⁴ - الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ذخائر العرب 30، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت، الطبعة الخامسة، ج9، ص212-213؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص328؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ=1994م، ج6، ص130؛ ابن الراهب، أبو شاعر بطرس بن أبي الكرم بن المهذب تاريخ ابن الراهب، نشره لويس شيخو، بيروت، 1903م، ص65.

⁵ - المدائن: مدينة عراقية بينها وبين بغداد ستة فراسخ (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص88-89).

وقد كان للسلطة الحاكمة دور كبير في تعويض الناس عن خسائرهم جراء حدوث هذه الزلازل، فقد "أمر المتوكل بتفرقة ثلاثة آلاف ألف درهم في الذين أصيبوا بمنازلهم" (1).

والتأمل في هذه الزلزلة يلاحظ قوتها، واتساع النطاق المدمر لها، فهي ليست كالزلازل المعتادة التي يكون لها مركز واحد مدمر، ويشعر بها الناس في بلدان بعيدة دون أن تؤذيهم، إذ أدت إلى موت خلق كثير في العراق والمغرب، بالرغم من البعد الكبير بينهما، وتسببت في هدم كثير من البيوت في العراق وأنطاكية وبالسن في الشام بالرغم من بعد هذه المناطق عن بعضها البعض. كما يُلاحظ من خلال روايات المؤرخين عن هذه الزلزلة حجم الخسائر المادية التي نتجت عنها، إذ "أخربت القلاع والمدن والقناطر"، وليس سهلاً على الإنسان والدولة أن تهدم في لحظة واحدة آلاف المنازل والقصور والقناطر التي عمرها الإنسان، وبذل في بنائها الأموال الطائلة والجهود الكبيرة، عبر مدة طويلة من الزمن، ومهما قامت الدولة بتعويض الناس فإنها لن تغطي إلا جزءاً يسيراً من خسائرهم.

أما الآثار النفسية والاجتماعية التي تنتج عن الموت الجماعي المفاجئ لأعداد كبيرة من الناس، فلا يستطيع أحد أن يعوضها ويعالج أثرها إلا الله تعالى وحده. وفي (10 شعبان 258هـ = 20 يونيو 872م) حدثت "هدة صعبة هائلة بالصيمرة" (2)، ثم سمع من غد ذلك اليوم، وذلك يوم الأحد، هدة هي أعظم من

¹ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص212؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص328؛ وينظر: ابن الأثير، الكامل، ج6، ص130؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج18، ص14؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص382.

² - صَيْمَرَةٌ: بالفتح ثم السكون وفتح الميم ثم راء كلمة أعجمية، وهي في موضعين أحدهما بالبصرة على فم نهر مَعْقِل وفيها عدة قرى تسمى بهذا الاسم (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص498).

التي كانت في اليوم الأول، فتهدم من ذلك أكثر المدينة، وتساقطت الحيطان، وهلك من أهلها - فيما قيل - زهاء عشرين ألفاً⁽¹⁾.

والملاحظ أن المؤرخين وهم يصفون هذه الزلزلة يتحدثون عن سماعهم لصوت عظيم أطلقوا عليه "هدة"، ومن الواضح أن هذا الصوت ناتج عن سقوط السقوف والحيطان لعدد كبير من المنازل في وقت واحد، ولا شك أن موت زهاء عشرين ألفاً من بلدة الصيمرة الواقعة في مدينة البصرة، مؤشر على أن الزلزلة أتت على معظم أهلها، إذ لا يتوقع أن يزيد عدد سكان بلدة تابعة لمدينة في ذلك الزمان كثيراً عن عشرين ألفاً، وما أشد تلك الكارثة التي تفني في لحظة واحدة معظم السكان في بلدة صغيرة، وما أصعبها على نفوس الناجين الذين فقدوا أعزاءهم، وعلى نفوس المجاورين الذين يعلمون أن هذه الكوارث المدمرة ليست منهم ببعيد.

وفي سنة (267هـ = 880م) هزت بغداد "زلزلة هائلة، وقى الله شرها، وصرف مكروها"⁽²⁾، وتحدث ابن الأثير عن زلزلة عظيمة في هذه السنة هزت الشام وبلاد الجزيرة [شمالى العراق] وأفريقيا والأندلس⁽³⁾، ربما تكون هي نفسها التي أشرنا إلى أنها هزت بغداد في سنة 267هـ، ولا يمكن الجزم بذلك، إذ أن الطبري وابن الأثير اللذين ذكرا الروايتين السابقتين لم يحددا يوم وتاريخ وقوع هذه الزلزلة، واكتفيا بذكر سنة وقوعها.

¹ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص 500؛ و ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج12، ص136؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص 238، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج19، ص 28؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربى، 1408 هـ - 1988م، ج11، ص 36؛ السيوطي، كشف الصلصلة، مخطوط، لوحة 12 أ؛ العجلوني، تحريك السلسلة، ص 79.

² - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص578.

³ - الكامل في التاريخ، ج6، ص307.

وفي (8 ربيع الأول 268هـ = 5 أكتوبر 881م) زلزلت بغداد، وأعقب الزلزلة ثلاثة أيام من المطر الشديد، ووقعت أربع صواعق⁽¹⁾، وقد أدت إلى خسائر بشرية كبيرة⁽²⁾.

وفي سنة (289هـ = 902م) كثرت الزلازل في العراق⁽³⁾، وخاصة في شهر رجب، وكان أشدها ما حدث في مدينة بغداد، حيث استمرت توابع هذا الزلزال لأيام وليالي عدة فيها⁽⁴⁾، وفي مدينة البصرة خسف موضع فيها فقتل بسببه ستة آلاف نسمة⁽⁵⁾.

والملاحظ أن المؤرخين لم يتحدثوا عن خسائر في بغداد بالرغم من شدة الزلزلة فيها، لكنهم تحدثوا عن تتابع الزلازل لأيام وليالي عدة، وهذا ما يعرف في زماننا بالهزات الارتدادية.

كما يلاحظ أن خسفاً ناتجاً عن هذه الزلزلة أصاب موضعاً في البصرة فأدى إلى قتل نحو ستة آلاف إنسان، وهذا يعني أن مركز هذا الزلزال ليس بغداد، وإنما هو هذا الموضع في البصرة، ولذلك أدى إلى خسف الأرض فيها، وعدم وقوع خسائر في بغداد.

¹ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص 602؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص313.

² - العجلوني، تحريك السلسلة، ص79.

³ - ابن الجوزي، المنتظم، ج12، ص 422.

⁴ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 10، ص89؛ الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ج8، ص92؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص6؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص415.

⁵ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص415؛ السيوطي، كشف، مخطوط، لوحة12أ، العجلوني، تحريك السلسلة، ص80.

لقد كان القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي حافلاً بالزلازل المدمرة التي تسببت بفناء جماعي مفاجئ لكثير من العراقيين، وبخسائر مادية كبيرة، وآثار نفسية واجتماعية صعبة، إذ هزت العراق خلاله ثمانية زلازل سبعة منها شديدة مدمرة، وواحدة خفيفة لم ينجم عنها خسائر.

وفي أواخر سنة (346هـ = 958م) ضربت زلازل عنيفة العراق والمناطق المجاورة له ، وقد أدت إلى خسائر بشرية ومادية كبيرة⁽¹⁾، وقد وصف المؤرخون شدة هذه الزلازل، والتي استمرت لمدة أربعين يوماً، ومن ذلك قول ابن الأثير: "وفيها كانت بالعراق وبلاد الجبال وقم ونواحيها زلازل كثيرة متتابعة دامت نحو أربعين يوماً، تسكن وتعود، فتهدمت الأبنية، وغارت المياه، وهلك تحت الهدم من الأمم الكثير، وكذلك كانت زلزلة بالري ونواحيها مستهل ذي الحجة أخرجت كثيراً من البلد، وهلك من أهلها كثير، وكذلك أيضاً الزلزلة بالطالقان⁽²⁾ ونواحيها عظيمة جداً أهلكت أمماً كثيرة"⁽³⁾.

وقال ابن كثير: " وفيها كان بالعراق وبلاد الري والجل وقم ونحوها زلازل كثيرة مستمرة نحو أربعين يوماً، تسكن ثم تعود، فتهدمت بسبب ذلك أبنية كثيرة، وغارت مياه كثيرة، ومات خلق كثير "⁽⁴⁾.

¹ - ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص109؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص259؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 25 ، ص223-224؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص263؛ السيوطي، كشف، مخطوط، لوحة12ب، العجلوني، تحريك السلسلة، ص81-82.

² - طالقان: بعد الألف لام مفتوحة وقاف وآخره نون، بلدتان إحداهما بخراسان وبين مرو والروذ وبلخ بينها وبين مرو الروذ ثلاث مراحل، ...، والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر وبها عمة قرى يقع عليها هذا الاسم(ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص7).

³ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص259.

⁴ - البداية والنهاية، ج11، ص263.

لقد ارتاح العراقيون نحو سبعة وخمسين عاماً من الزلازل، وما كادوا يطمئنوا حتى عادت تهز ديارهم من جديد، وتسبب لهم الخسائر والفجائع والنكبات، إذ جاءت في أواخر سنة 346هـ زلزلة مدمرة تبعها سلسلة من الهزات الارتدادية التي استمرت نحو أربعين يوماً، وقد نتج عنها موت كثير، وهدم كبير، وغور لمياه الشرب في الآبار، ويبدو أن مركز هذه الزلزلة ليس العراق، وإنما الطالقان من بلاد خراسان، إذ أكد ابن الأثير أن الزلزلة فيها كانت "عظيمة جداً أهلكت أمماً كثيرة"⁽¹⁾.

وفي (صفر 347هـ = نيسان 958م) عادت الزلازل تضرب من جديد العراق، والبلاد المجاورة له، وقد تركزت الزلازل في العراق في مدينة بغداد، ويبدو أنها كانت فيها ضعيفة التأثير، أما في بقية المناطق فقد أدت إلى خسائر بشرية ومادية كبيرة⁽²⁾، ويصف ابن الجوزي ما حدث بقوله: "كانت زلزلة ببغداد في نيسان، وكانت زلازل عظيمة في حلوان"⁽³⁾، وبلدان الجبل، وقم، وقاشان⁽⁴⁾، فقتلت خلقاً كثيراً وأخربت"⁽⁵⁾.

¹ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص259.

² - ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص114؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص264؛ السيوطي، كشف، مخطوط، لوحة12ب، العجلوني، تحريك السلسلة، ص82.

³ - حلوان: بالضم ثم السكون والحلوان في اللغة الهبة... وحلوان في عدة مواضع منها: حلوان العراق وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد وقيل أنها سميت بحلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة كان بعض الملوك أقطعه إياها فسميت به... وحلوان أيضاً قرية من أعمال مصر بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد مشرفة على النيل) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص334.

⁴ - قَاشَانُ: بالشين المعجمة وأخره نون مدينة قرب أصبهان تذكر مع قم (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص336).

⁵ - المنتظم، ج14، ص114.

وقال الذهبي: " وفيها عادت الزلازل بحلوان وقمم⁽¹⁾ الجبال، فأتلفت خلقاً عظيماً، وهدمت الحصون⁽²⁾ .

وقال ابن كثير: " فيها كانت زلزلة ببغداد في شهر نيسان وفي غيرها من البلاد الشرقية فمات بسببها خلق كثير، وخربت دور كثير⁽³⁾ . وواضح من التفاصيل التي أشار إليها المؤرخون في الروايات السابقة أنها كانت زلزلة مدمرة، نجم عنها خسائر بشرية ومادية فادحة، وإنّ عدم وجود إحصاءات في تلك الروايات، يعود فيما يبدو إلى أن الخسائر كانت في أماكن نائية في الجبال، وليس في العاصمة بغداد ذات الإمكانيات المساعدة على العد والإحصاء. وفي (ذي الحجة 363هـ = أغسطس 974م) ضربت مدينة واسط زلزلة عظيمة⁽⁴⁾)، ولم تقدم المصادر معلومات كافية حول ما أحدثته من خسائر بشرية وأضرار مادية.

وفي (ربيع الأول 367هـ = أكتوبر 977م) زلزلت مدينة بغداد مرات عدة⁽⁵⁾، وترافق حدوث هذه الزلازل مع زلازل حدثت في مدينة المهديّة⁽⁶⁾ استمرت توالعها لمدة أربعين يوماً⁽⁷⁾.

¹ - هكذا في الأصل (قمم) وهو تصحيف و الصواب (قم) اسم المدينة المعروفة بإيران.

² - تاريخ الإسلام ، ج25، 225.

³ - البداية والنهاية، ج11، ص264.

⁴ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص349؛ السيوطي، كشف، مخطوط، لوحة13أ، العجلوني، تحريك السلسلة، ص83.

⁵ - ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص252؛ السيوطي، كشف، مخطوط، لوحة13أ، العجلوني، تحريك السلسلة، ص83.

⁶ - المهديّة: بالفتح ثم السكون في موضعين: إحداهما بإفريقية والأخرى اختطها عبد المؤمن بن علي قرب سلا(ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص265) .

⁷ - ابن الأثير، الكامل، ج7، ص380.

وفي سنة (368هـ = 978م) كثرت الزلازل في الدنيا، وكان أشدها ما حدث في العراق، ولم تذكر المصادر مدى ما أحدثته من أضرار (1).

وفي ليلة السبت (13 شوال 374هـ = 8 مارس 985م)، ضربت زلزلة مدينة الموصل، وأدت إلى خسائر بشرية كبيرة (2).

وفي (رجب 376هـ = نوفمبر 986م) عادت الزلازل تضرب مدينة الموصل، وقد أحدثت فيها خسائر بشرية ومادية كبيرة، وقد وصف المؤرخون شدتها، ومن ذلك قول ابن الجوزي: "ورد الخبر بزلزلة كانت بالموصل، هدمت كثيراً من المنازل، وأهلكت خلقاً كثيراً من الناس" (3).

وقال ابن الأثير: "وفيها كان بالموصل زلزلة شديدة، تهدم بها كثير من المنازل وهلك كثير من الناس" (4).

وقال ابن كثير: "وورد الخبر فيه بأنه وقع بالموصل زلزلة عظيمة، سقط بسببها عمران كثير، ومات من أهلها أمة عظيمة" (5).

وخالف ابن أبيك إجماع المؤرخين السابقين، وذكر أن هذه الزلزلة حدثت في الموصل سنة (377هـ = 987م) (6)، ويرجح الباحثان عدم دقة هذا التاريخ، والصواب هو ما أجمع عليه المؤرخون، من أنها حدثت في سنة (376هـ = 986م)، لأن منهم الأقرب للحدث والمكان كابن الجوزي وابن الأثير، ومن اعتنى بذكر وتسجيل الزلازل بكل دقة كالسيوطي والعجلوني.

1 - المصدر نفسه، ج7، ص383.

2 - العظمي، محمد بن علي، تاريخ حلب، تحقيق: إبراهيم زعرور، دمشق، 1981م، ص 310.

3 - المنتظم، ج14، ص317.

4 - الكامل في التاريخ، ج7، ص429.

5 - ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 347؛ وينظر: السيوطي، كشف، مخطوط، لوحة13أ، العجلوني، تحريك السلسلة، ص83.

6 - كنز الدرر وجامع الغرر، نشر وتحقيق قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للأثار بالقاهرة، صدر في الفترة من 1961-1992م، ج 6، ص 219.

وعند التأمل في زلازل العراق في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي يتبين أنها كانت -حسب مصادرنا الإسلامية- سبعة زلازل، أولها حدث في سنة (346هـ = 958م)، وآخرها في سنة (376هـ = 986م)، إذ ارتاح العراقيون من شرها حتى سنة 422هـ أي نحو خمسة وأربعين عاماً، ويلاحظ أن جميع الزلازل في هذا القرن تركزت فقط في ثلاثين سنة متتالية منه (346-376هـ = 958م - 986م)، بينما خلت بقية سنواته من أية زلازل، كما يلاحظ أن خمسة فقط من هذه الزلازل قد تسببت بخسائر بشرية ومادية فادحة، حسب ما أوردته مصادرنا.

وفي سنة (422هـ = 1031م) زلزلت مدينة الموصل ثلاث مرات، وتسببت هذه الزلزلة بهدم نحو خمسين منزلاً، وموت ثلاثة أطفال وامرأة⁽¹⁾. وفي سنة (438هـ = 1046م) ضربت الزلازل منطقة ديار بكر⁽²⁾ و خلاط⁽³⁾، وأدت إلى هدم قلاع وحصون عدة، وقتل بسببها عدد كبير من السكان⁽⁴⁾.

¹ - العمري، ياسين بن خير الله، الآثار الجبلية في الحوادث الأرضية، مخطوط، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الرياض، رقم الحفظ : ب 22915-22917، لوحة 37ب.

² - ديار بكر: هي بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمَى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وحدها ما غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة ومنه حصن كيفا وآمد وميافارقين وقد يتجاوز دجلة إلى سعرت وحيزان وحيني وما تخلل ذلك من البلاد ولا يتجاوز السهل (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص561-562).

³ - خَلاطُ: بكسر أوله وآخره طاء مهملة، هي قسبة أرمنية الوسطى (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص435).

⁴ - السيوطي، كشف، مخطوط، لوحة13ب، العجلوني، تحريك السلسلة، ص85.

وفي يوم الثلاثاء (18 شوال 450هـ=7 ديسمبر 1058م) حدثت زلزلة عظيمة في العراق، بين المغرب والعشاء وكان أشد المناطق المتضررة منها بغداد والموصل وواسط وعانة⁽¹⁾ وتكريت، وأصاب في الوقت نفسه مدينة همذان⁽²⁾، وقد أدت إلى تهدم منازل كثيرة، وذكرت المصادر أن الطواحين توقفت عن العمل من شدتها⁽³⁾، وقد وصف المؤرخون شدتها، ومن ذلك قول ابن الجوزي: "وفي ثامن عشر شوال: بين المغرب والعشاء كانت زلزلة عظيمة لبثت ساعة عظيمة، ولحق الناس منها خوف شديد، وتهدمت دور كثيرة، ثم وردت الأخبار أنها اتصلت من بغداد إلى همذان، وواسط، وعانة، وتكريت"⁽⁴⁾.

وقال ابن الأثير: "وفيها في شوال كانت زلزلة عظيمة بالعراق والموصل، ووصلت إلى همذان، ولبثت ساعة فخربت كثيراً من الدور، وهلك فيها الجم الغفير"⁽⁵⁾.

ويلاحظ أن مؤرخينا لم يتحدثوا عن أرقام تبين عدد من قتلوا في هذه الزلزلة، بالرغم من ذكرهم تفاصيل أخرى مهمة ودقيقة، وقد تكرر هذا في

¹ - عانة: بلد مشهور بين الرقة وهيت، يعد في أعمال الجزيرة (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 81).

² - همذان: مدينة إيرانية تقع في الطرف الشمالي الغربي من جبال زارغوس، وإلى الشرق من كرمنشاه، والغرب من مدينة قم، وهي مدينة جبلية على طريق الآتي من العراق باتجاه طهران (شامي، يحيى، موسوعة المدن العربية والإسلامية، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1993م، ص288).

³ - ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص30؛ ابن الأثير، ج8، ص348؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص98؛ السيوطي، كشف، مخطوط، لوحة13ب، العجلوني، تحريك السلسلة، ص85.

⁴ - ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص30.

⁵ - ابن الأثير، الكامل، ج8، ص348.

العديد من الزلازل، ويبدو أن ذلك يعود إلى صعوبة إحصاء القتلى، إذ أن كثيراً ممن يموتون بسبب الزلازل لا يستطيع أحد الوصول إليهم بسبب ابتلاع الأرض لهم في الخسف، وسقوطهم في شقوق الأرض الناجمة عن الزلازل، أو بسبب كثرة الهدم فوقهم، وقلة الإمكانات التي تعين على رفع الأنقاض عنهم، أو بسبب بعد أماكن سكنهم، ومما تكن المبررات لعدم معرفة أعداد الذين قضوا نحبتهم بسبب الزلزلة فإنه يعكس تقصيراً من قبل السلطة الحاكمة، فلو حرصت على تعويض الناس عن خسائرهم البشرية والمادية، لوفرت الموظفين، وكلفتهم بالإحصاء، ولوصلوا إلى جزء كبير من حقيقة الخسائر، ولوصلات هذه المعلومات إلى كتب المؤرخين.

وفي (شعبان 455هـ = أغسطس 1063م) ضربت الزلازل مناطق عدة من بلاد الشام، وأصابت في الوقت نفسه مدينة واسط بالعراق، وقد أدت إلى خسائر مادية كبيرة في بلاد الشام، ولا تمدنا المصادر بمعلومات كافية حول حجم الأضرار التي تركتها هذه الزلازل في مدينة واسط⁽¹⁾.

وفي يوم الثلاثاء (11 جمادى الأولى 460هـ = 17 مارس 1068م) ضربت الزلازل الشديدة بلاد الشام والحجاز ومصر، وتذكر المصادر أنها حدثت أيضاً في الكوفة والرحبة⁽²⁾، ولكنها لم توضح مدى الأضرار التي أحدثتها

¹ - ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص 82؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص110؛ السيوطي، كشف، مخطوط، لوحة13ب، العجلوني، تحريك السلسلة، ص85-86.

² - الرحبة: قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 37).

ففيهما هذه الزلازل ⁽¹⁾. لكن المرجح أنها أضرار خفيفة، إذ يستبعد أن تكون كبيرة ويهمل ذكرها المؤرخون.

وفي ليلة الجمعة (26 ربيع الآخر 464هـ = 20 يناير 1072م) حدثت زلزلة في مدينة بغداد " ارتجت لها الأرض ست مرات " ⁽²⁾. لكن لم ترد معلومات في مصادرنا عن وقوع خسائر.

وفي سنة (479هـ = 1086م) ضربت الزلازل العراق وبلاد الشام وغيرها من البلاد، وتسببت بأضرار عمرانية كبيرة ⁽³⁾. وقد وصف المؤرخون شدتها، ومن ذلك قول ابن الأثير: " وفيها كانت زلازل بالعراق والجزيرة والشام وكثير من البلاد، فخربت كثيراً من البلاد، وفارق الناس مساكنهم إلى الصحراء، فلما سكنت عادوا " ⁽⁴⁾.

وقال السيوطي: " وفي هذه السنة كانت زلازل هائلة بالعراق والجزيرة والشام فهدمت شيئاً كثيراً من العمران، وخرج أكثر أهل العراق إلى الصحراء ثم عادوا " ⁽⁵⁾.

وفي محرم سنة (487هـ = يناير 1094م) زلزلت مدينة بغداد، ولم تذكر المصادر مدى ما أحدثته من أضرار ⁽⁶⁾.

¹ - ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص 105؛ السيوطي، كشف، مخطوط، لوحة14أ؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج3، ص308؛ العجلوني، تحريك السلسلة، ص86-87.

² - ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص 105؛ ابن كثير، البداية والنهاية ج12، ص128؛ السيوطي، كشف، مخطوط، لوحة14ب، العجلوني، تحريك السلسلة، ص87.

³ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص450؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص161؛ السيوطي، كشف، مخطوط، لوحة14ب، العجلوني، تحريك السلسلة، ص88.

⁴ - الكامل في التاريخ، ج8، ص450.

⁵ - السيوطي، كشف، مخطوط، لوحة14ب.

⁶ - ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص10؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج5، ص136.

ويلاحظ أن عدد الزلازل التي هزت أراضي العراق خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي هو ثمانية زلازل، وأنها وقعت في المدة من (422-487هـ = 1031م - 1094م)، وأن أربعة منها فقط قد نجم عنه أضرار وخسائر، وأن ثلاثة منها قد هز في الوقت نفسه الشام، ومنها من تجاوزه إلى مصر، كما يلاحظ حالة الفزع والذعر التي أصابت السكان في العراق بسبب الزلازل، يدل على ذلك ما سجله المؤرخون من هروب لأكثر السكان إلى الصحراء بعد زلزلة سنة (479هـ = 1086م) تاركين بيوتهم، ولم يعودوا إلا بعد أن سكنت الزلازل.

ارتاح سكان العراق بعد زلزلة (487هـ = 1094م) نحو واحد وعشرين عاماً، حيث تعرض شمال العراق في ليلة الأحد (28 جمادى الثاني سنة 508هـ = 29 نوفمبر 1114م) إلى زلازل عظيمة هزت أرض الجزيرة ووصلت إلى بلاد الشام، وأدت إلى خسائر بشرية كبيرة، فقد بلغ عدد القتلى مائة ألف قتيل⁽¹⁾. ويبدو أن هذا العدد يشمل الخسائر في كل من الشام وأرض الجزيرة.

¹ - ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م، ص 191؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 140؛ ميخائيل السوري، تاريخ ميخائيل السوري الكبير، ترجمة: د. سهيل زكار، منشور في الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، ج 5، ص 87-309، دمشق، دار الفكر، 1416هـ = 1995م، ج 5، ص 103؛ السوري، وليم، تاريخ الحروب الصليبية (1094-1184م) أو الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة: د. سهيل زكار، ط 1، دار الفكر، 1410هـ - 1990م، ج 1، ص 554

وفي يوم الثلاثاء (9 ذي الحجة 511هـ = 3 إبريل 1118م) حدثت زلازل عظيمة في بغداد وإربل⁽¹⁾ وبلاد الجزيرة وحلب، وكان أشدها الزلازل التي حدثت في مدينة بغداد، حيث أدت إلى تدهم العديد من المنازل والحوانيت في الجانب الغربي للمدينة⁽²⁾.

وفي سنة (515هـ = 1121م) ضربت الزلازل الحجاز والموصل، وأدت إلى تدهم أجزاء من الركن اليماني من البيت الحرام، وتهدمت أجزاء من الحرم النبوي بالمدينة المنورة، ولم تذكر المصادر مدى الأضرار التي أصابت الموصل⁽³⁾.

وفي ليلة الجمعة (16 ربيع الأول 524هـ = 26 فبراير 1130م) هزت زلزلة عظيمة مدينة بغداد والموصل وبلاد الجزيرة والجبل، أدت إلى تدهم عدد كبير من منازل السكان، وخاصة في مدينة بغداد⁽⁴⁾.

¹ - إربل: بالكسر ثم السكون وباء موحدة مكسورة، ولام بوزن إثم، ولا يجوز فتح الهمزة، وهي مدينة كبيرة وقلة حصينة، وهي تعد من أعمال الموصل بالعراق (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص166-167).

² - ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص156؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص171؛ أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، وضع حواشيه وعلق عليه: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ-2002م، ج1، ص149.

³ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص211؛ السيوطي، كشف الصلصلة، مخطوط، لوحة 14ب؛ العجلوني، تحريك السلسلة، ص89.

⁴ - ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص256؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج9، ص256؛ ابن كثير، البداية والنهاية ج12، ص248؛ السيوطي، كشف الصلصلة، مخطوط، لوحة 14ب؛ العجلوني، تحريك السلسلة، ص89.

ويروي المؤرخ ابن الجوزي نقلاً عن شيخه ما حدث بمدينة بغداد وقت حدوث هذه الزلزلة فيقول: " قال شيخنا أبو الفضل بن ناصر: وكانت زلزلة عظيمة هائلة في ليلة الجمعة، السادس عشر من ربيع الأول سنة أربع وعشرين، وكان ذلك في آخر شباط، وكنت في المسجد بين العشاءين، فماجت الأرض مراراً كثيرة، من اليمين عن القبلة إلى الشمال، فلو دامت هلك الناس، ووقعت دور كثيرة، ومساكن في الجانب الشرقي والغربي " (1).

وفي شهر جمادى الثاني (529هـ = إبريل 1135م) وقعت زلزلة شديدة ببغداد، ثلاث مرات في وقت الضحى، وبلغ من قوتها أن تحركت الجدران، ولم تذكر المصادر مدى ما أحدثته من أضرار (2).

وفي شهر (شوال سنة 529هـ = يوليو - أغسطس 1135م) ضربت زلازل شديدة العراق وبلاد الجبل وبلاد الشام (3).

وتركزت الزلازل في العراق في مدينة بغداد والموصل، ويذكر المؤرخون أن الزلازل استمرت أياماً عدة، وأنها تكررت في اليوم الواحد ما بين خمس أو ست مرات، فقد بدأت الزلازل تضرب المدينة من يوم (الخميس 11 شوال = 24 يوليو) إلى ليلة الجمعة (27 شوال = 9 أغسطس) (4)، ويروي ابن الجوزي ما حدث في بغداد بقوله : " وزلزلت بغداد مراراً لا أحصيها، وكان

¹ - ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص256.

² - المصدر نفسه، ج17، ص 294.

³ - المصدر نفسه، ج17، ص296؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص287؛ العظمي، تاريخ حلب، ص387؛ السيوطي، كشف، لوحة 14ب -15؛ العجلوني، تحريك، ص89.

⁴ - ورد عند السيوطي في مخطوطة كشف الصلصلة أن الزلازل استمرت إلى يوم 17 شوال، وقد نقل عنه ذلك العجلوني أيضاً، وهذا غير دقيق، فرواية ابن الجوزي المعاصر للحدث أوثق وأدق، ويؤكد ذلك سياق الأحداث عند ابن الجوزي حسب ترتيبها الزمني.

مبتدأ الزلازل يوم الخميس حادي عشر شوال، فزلزلت يومئذ ست مرات، ودامت كل يوم خمس مرات أو ست مرات إلى ليلة الجمعة سابع عشرين شوال، ثم ارتجت يوم الثلاثاء النصف من الليل حتى تفرقت السقوف، وانتثرت الحيطان، وكنت في ذلك الزمان صيباً، وكان نومي ثقيلاً لا أنتبه إلا بعد الانتباه الكثير، فارتج السقف تحتي، وكنت نائماً في السطح، رجة شديدة، حتى انتبهت منزعاً، ولم تزل الأرض تميد من نصف الليل إلى الفجر، والناس يستغيثون⁽¹⁾.

ولا شك أن هذه الزلازل المتواصلة التي استمرت لأكثر من نصف شهر، تهز جدران المنازل وسقوفها كل يوم مرات عدة، قد أفزعت الناس، وهزت نفوسهم، وجعلتهم لا يملكون غير الدعاء والتوجه إلى الله، الذي يعتقدون أنه وحده القادر على إسكاتهما، ومنع أذاها.

وفي (صفر سنة 532هـ = أكتوبر 1137م) ضربت زلزلة عظيمة بلاد الشام والجزيرة والعراق وغيرها من البلاد⁽²⁾ " فخربت كثيراً منها، وهلك تحت الهدم عالم كثير"⁽³⁾، "وقيل أنها أهلكت عدة مواضع من الأرض، وهلك فيها خلق كثير وافر من أهلها"⁽⁴⁾.

¹ - المنتظم، ج17، ص296.

² - ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص263؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص307-308؛ السيوطي، كشف، لوحة15أ؛ العجلوني، تحريك، ص89.

³ - ابن الأثير، الكامل، ج9، ص307-308.

⁴ - ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص263.

ويرجح الغنيم⁽¹⁾ أن التاريخ الأدق لهذه الزلزلة هو السنة التالية لها (533هـ=1138م)، ونرى أن ما ذهب إليه بجانب للصواب، فقد اعتمد على رواية ابن الأثير، ولم يذكر رواية ابن القلانسي المعاصر للحدث، والذي أكد حدوث هذه الزلازل وذلك بقوله: "وورد الخبر في صفر بأن زلزلة عظيمة، جاءت بالجزيرة وأعمال الموصل..."⁽²⁾.

وذكر المؤرخون أن زلازل كثيرة وهائلة حدثت في شهر (صفر سنة 533هـ= أكتوبر 1138م) في بلاد الشام ومصر والجزيرة وغيرها من البلاد⁽³⁾.

وكان أشدها في مدينة جنزة⁽⁴⁾، التي تم تدميرها تدميراً كلياً، وقدرت أعداد القتلى بمائتين وثلاثين ألفاً (230 ألف)، و"صار مكان البلد ماء أسود، وقدم التجار من أهلها فلزموا المقابر ليكون على أهاليهم"⁽⁵⁾. ولم تذكر المصادر مدى الأضرار التي أحدثتها هذه الزلازل في الجزيرة.

¹ - الغنيم، عبد الله، سجل الزلازل العربي أحداث الزلازل وأثرها في المصادر العربية، نشر الجمعية الجغرافية الكويتية، جامعة الكويت، ط1، 2002م، ص130.

² - ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص263.

³ - المصدر نفسه، ص268؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج17؛ ص335؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص311؛ ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، 1417هـ-1996م، ص319؛ ابن أبيك، كنز الدرر، ج6، ص529؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص267؛ العظمي، تاريخ، ص394؛ السيوطي، كشف الصلصلة، لوحة 15 أ؛ العجلوني، تحريك، ص89.

⁴ - جَنْزَةُ: بالفتح، اسم أعظم مدينة بإيران، وهي بين شروان وأذربيجان، وهي التي تسميها العامة كَنْجَة بينها وبين بردعة ستة عشر فرسخاً (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص394).

⁵ - ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص335.

وفي ليلة الثلاثاء (24 ذو القعدة 538هـ = 28 مايو 1144م) زلزلت مدينة بغداد، ويصف ابن الجوزي ما حدث بقوله: " وزلزلت الأرض ليلة الثلاثاء رابع عشرين ذي القعدة، فكانت رجة عجيبة، كنت مضطجعا على الفراش فارتج جسدي منها" (1).

وفي يوم السبت (غرة ذي الحجة 544هـ = 31 مارس 1150م) ضربت مدينة بغداد والمناطق المجاورة لها بزلزلة عظيمة، وقد أدت إلى خسائر بشرية وعمرانية كبيرة، كان أبرزها انهدام الرباط البهروزي في حلوان (2).

ويصف ابن الجوزي ما حدث بقوله : " وفي يوم السبت غرة ذي الحجة وقت الضحى، زلزلت الأرض زلزلة عظيمة، فبقيت تموج نحواً من عشر مرات. وكانت زلزلة بحلوان تقطع منها الجبل وساخ في الأرض، وانهدم الرباط البهروزي، وهلك عالم من التركمان" (3). ويبدو أن مركز الزلزلة كان في الجبل الذي تقطع وساخ في الأرض، وأهلك من يسكنون عليه من التركمان.

وفي شهر ذي الحجة سنة (550هـ = يناير 1156م) ضربت زلزلة كبيرة العراق وغيرها من البلاد، ولم تحدد المصادر مدى الأضرار التي تركتها هذه الزلزلة (4).

¹ - المنتظم، ج17، ص33؛ وينظر: السيوطي، كشف، لوحة 15 أ؛ العجلوني، تحريك، ص90.

² - ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص72؛ وينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص363؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص281؛ السيوطي، كشف، لوحة 15 أ؛ تاريخ الخلفاء، ص319؛ العجلوني، تحريك، ص90.

³ - المنتظم، ج17، ص72.

⁴ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج9، ص402؛ السيوطي، كشف، لوحة 15 أ؛ العجلوني، تحريك، ص90.

وفي يوم الاثنين (12 شوال 565هـ=29 يونيو 1170م) ضربت الزلازل بلاد الشام ⁽¹⁾ ومصر والعراق وغيرها من البلاد ⁽²⁾، ووصفها ابن الأثير بقوله: "كانت زلزلة عظيمة لم ير الناس مثلها، عمت أكثر البلاد من الشام ومصر والجزيرة والموصل والعراق وغيرها، إلا أن أشدها وأعظمها كان بالشام، فخربت بعلبك وحمص، وحماة، وشيزر، وبعرين ⁽³⁾ وغيرها... وسقطت الدور على أهلها، وهلك من الناس ما يخرج عن العد والإحصاء" ⁽⁴⁾.

وقد نقل ابن الفرات عن القاضي الفاضل البيساني وصفها بقوله: "قد عمت حتى هدمت كل بقعة، وعُدمت كل قلعة، وخفضت كل رفعة، وعطلت كل حال، وأنزلت كل عال، وشغلت كل بال... وعادت الحصون مهدومة، والمعقل مردومة، والثغور مثلومة، والثنايا مهتومة" ⁽⁵⁾.

وقد ذكرت المصادر السريانية هذه الزلازل، فقد وصفها ميخائيل السوري بقوله: "في يوم الاثنين 29 حزيران حدثت زلزلة قوية، وكانت الأرض تهتز كما تهتز السفينة في البحر الهائج، وانتشر الخوف والهلع والذعر بين

1- 85-Atiya, Aziz Suryal, 1898. *Medieval and Middle Eastern studies*. Leiden: E. J. Brill, 1972, pp-296-297.

2 - ذكر الباحث الغنيم نص ابن الأثير في هذه الزلازل ضمن زلازل سنة (552هـ-1157م)، وهذا غير دقيق، ينظر: سجل الزلازل، ص147-148.

3 -بارين: بكسر الراء وياء ساكنة والنون، والعامة تقول بَعرين. مدينة حسنة بين حلب وحماه من جهة الغرب (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص381.)

4 - التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، دار المثني، بغداد، 1963م، ص145؛ وينظر: الكامل في التاريخ، ج10، ص24.

5 - ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن الفرات ، عني تحرير نصه ونشره: الدكتور حسن محمد الشماخ، جامعة البصرة، كلية الآداب.د.ت، ج4، م1، ص96؛ وينظر: السيوطي، كشف، لوحة17ب؛ العجلوني، تحريك، ص97.

الناس، وقد حدث عندما كنا واقفين في هيكل دير مار حناينا نتلو صلاة الصبح يوم عيد القديس بطرس وبولس أن سمعنا بغثة صوت رعد قوي، وسقطنا على وجوهنا أمام المائدة المقدسة، وتشبثنا بها ونحن نميل هنا وهناك، وبعد مدة أفقنا كمن يفيق من القبر، وتنبهنا انتباه من ينهض من رقاد، وتدحرجت الدموع من عيوننا، لا سيما لما سمعنا وتحققنا أن ما حدث ليس في الدير فقط، وإنما عمّ البلاد كلها، وقد صارت فظائع عمت البلاد والقرى⁽¹⁾.

ويصف وليم السوري هذه الزلازل التي أصابت معظم المدن والقرى والقلاع التي يحكمها الفرنج، سواء في فلسطين أو الساحل الشامي، وما أحدثته من أضرار بقوله: "في شهر حزيران من سنة 1170م، وقع زلزال مزعج مخيف، لم يُعرف مثله في ذاكرة الناس منذ سنوات بعيدة ببلاد الشرق بشكل خاص، فالمدن الحصينة التي تعود إلى سنوات بعيدة موهلة في القدم دمرت تماماً، والمواطنون الذين أصيبت بلادهم ماتوا تحت الردم، ولم ينج إلا نفر قليل من الموت، ولم تسلم أي بقعة في البلاد، إما خسارة في الممتلكات أو أموراً مأساوية أخرى، ففي كل مكان كان الحزن موجوداً، وفي كل مكان كانت علامات الموت ظاهرة"⁽²⁾.

وفي يوم السبت (12 ذو القعدة 574هـ = 7 فبراير 1153م) زلزلت بغداد أربع مرات، ويبدو أنها كانت هزات ضعيفة التأثير، ولذلك قال ابن

¹ - تاريخ ميخائيل السوري الكبير، منشور في الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، ج 5، ص 227؛ وينظر: ابن العبري، غريغوريوس بن اهرن الملطي، تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ - 1997م، ص 391.

² - تاريخ الحروب الصليبية، ج 2، ص 947-948.

الجوزي: " وحكى لي ثقات أن الأرض زلزلت بعد العصر يوم السبت ثاني عشر ذي القعدة أربع مرات ولم أحس أنا بذلك " (1).

وفي (14 ربيع الثاني 575هـ = 17 سبتمبر 1179م) ضربت الزلازل منطقة أربل، وقد أدت إلى خسائر بشرية كبيرة، وقام المؤرخون بوصف شدتها، ومن ذلك قول أبي شامة: "زلزلت الأرض بعد العتمة فوق بلاد أربل، فلما أصبح الناس عادت الزلزلة في الجبال، فتصادمت ووقع منها الحجارة، وسقطت قلاع كثيرة، وهلكت قرى بمن فيها، وكان يكون بين الجمل والجمال عشرون ذراعاً، فتقذفهما الزلزلة فيتصادمان ويعودان إلى مكانهما" (2).

وقال ابن كثير: "فيها كانت زلزلة عظيمة انهدم بسببها قلاع وقرى، وسقط من رؤوس الجبال صخور كبار" (3).

وقال ابن العماد: " وقعت زلزلة فوق بلاد أربل فتصادمت منها الجبال وكان هناك نهر أحمر ماؤه من دماء الهالكين " (4).

وفي (ربيع الأول 590هـ = مارس 1194م) ضربت زلزلة العراق وغيرها من البلاد، وأدت هذه الزلزلة إلى حدوث أضرار عمرانية، حيث " سقطت منها الجبانة (5) التي عند مشهد أمير المؤمنين علي" رضي الله عنه (6).

¹ - المنتظم، ج18، ص 252.

² - أبو شامة، الروضتين، ج3، ص36.

³ - البداية والنهاية، ج12، ص373؛ وينظر: كشف الصلصلة، لوحة 18 أ.

⁴ - شذرات الذهب، ج4، ص249.

⁵ - الجبانة: المقبرة، مصطفى وآخرون، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار، المعجم الوسيط ،تحقيق : مجمع اللغة العربية، القاهرة، د.ت ، ج1، 106.

⁶ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج10، ص234.

وفي فجر يوم الاثنين (26 شعبان 597هـ=21 مايو 1201م) ضربت زلزلة عظيمة بلاد الشام ومصر والعراق وغيرها من البلاد⁽¹⁾.

وعن هذه الزلزلة قال ابن الأثير: "وفي شعبان تزلزلت الأرض بالموصل وديار الجزيرة كلها والشام ومصر وغيرها... ووصلت الزلزلة إلى بلاد الروم"⁽²⁾.

وقال ابن كثير: "وفيها كانت زلزلة عظيمة ابتدأت من بلاد الشام إلى الجزيرة وبلاد الروم والعراق، وكان جمهورها وعظمها بالشام، تهدمت منها دور كثيرة"⁽³⁾.

وقد وصف بعض المؤرخين مدى قوة هذا الزلزال بقولهم: إنه كان في بادئ الأمر مقدار ما يقرأ الإنسان سورة الكهف، ثم استمرت هذه الزلازل بعد ذلك أياماً⁽⁴⁾.

وقُدِّر عدد القتلى في هذا الزلزال، فكان: "ألف ألف ومائة ألف إنسان"⁽⁵⁾، أي مليون ومائة ألف نسمة.

98-Atiya, Aziz Suryal, 1898. *Medieval and Middle Eastern studies*. Leiden: E. J. Brill, 1972, pp-295-296.

² - ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج10، ص275.

³ - البداية والنهاية، ج13، ص34.

⁴ - عبد اللطيف البغدادي، موفق الدين الشهير بابن اللباد، الإفادة والإعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر، مطبعة وادي النيل، ط1، 1286هـ — ، ص60؛ وينظر: أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص32؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، ط9، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ = 1993م ج22، ص220؛ ابن أبيك، كنز الدرر، ج7، ص149؛ السيوطي، كشف، لوحة 18 ب.

⁵ - أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص32؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص221؛ البداية والنهاية، ج13، ص34؛ ابن أبيك، كنز الدرر، ج7، ص149؛ السيوطي، كشف، لوحة 18 ب.

وكان تأثير هذه الزلازل في العراق ضعيفاً، وهذا ما يؤكد ابن الأثير بقوله:
"وكانت بالعراق يسيرة لم تهدم دوراً"⁽¹⁾.

لقد كان القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي قرن الزلازل في العراق، فقد هزته خلال ذلك القرن -حسب مصادرننا- أكثر من أربعة عشر زلزلة، وقد استمر بعضها أياماً متواصلة، وبلغ عدد الزلازل التي نتج عنها خسائر بشرية ومادية تسعة زلازل، ولم تقدم مصادرننا معلومات تبين كيفية تعامل السلطة الحاكمة مع هذه الزلازل، لكن من المتوقع أنها قدمت ما يوسعها، وأن درجة عونها للناس ارتبطت بغنى السلطة وقوتها ودرجة استقرارها السياسي.

وفي سنة (600هـ=1203م) ضربت زلازل عظيمة بلاد الشام ومصر والعراق والجزيرة وبلاد الروم، وامتد أثرها إلى صقلية وقبرص وسبته⁽²⁾ في أقصى المغرب⁽³⁾.

¹ - الكامل في التاريخ، ج10، ص275.

² - سَبْتَةُ: هي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة وهي مدينة حصينة تشبه المهديّة التي بإفريقية، وبينها وبين فاس عشرة أيام (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص205-206).

³ - ابن الأثير، الكامل، ج10، ص293-294؛ ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: د جمال الدين الشّيال، القاهرة، 1953م، ج3، ص161؛ ابن أبيك، كنز الدرر، ج7، ص153؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص45؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، حوادث سنة 600-615هـ، تحقيق وتعليق: الدكتور حسن محمد الشّماع، جامعة البصرة، 1390هـ - 1970م، ج5، م1، ص16، المقريزي، تقي الدين، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ - 1997م، ج1، ص276؛ السيوطي، كشف، لوحة 21أ؛ العجلوني، تحريك، ص101.

ولم تذكر المصادر ما نتج عن هذه الزلازل من أضرار في العراق.

وفي ليلة الأربعاء (25 رجب 604هـ = 13 فبراير 1208م) ضربت الزلزلة مدينة الموصل وغيرها من المناطق، ولكنها كانت ضعيفة التأثير⁽¹⁾.

وفي ليلة الأحد (20 صفر 622هـ = 2 مارس 1225م) " زلزلت الأرض بالموصل وديار الجزيرة والعراق وغيرها زلزلة متوسطة " ⁽²⁾.

وفي يوم الأربعاء (25 ذو القعدة 623هـ = 16 نوفمبر 1226م) ضربت الزلازل مدينة الموصل والمناطق المجاورة وخاصة شهرزور⁽³⁾، وقد تسببت بأضرار عمرانية كبيرة، ويصف ابن الأثير ما حدث بقوله: " وفيها في يوم الأربعاء الخامس والعشرين من ذي القعدة ضحوة النهار زلزلت الأرض بالموصل وكثير من البلاد العربية والعجمية وكان أكثرها بشهرزور، فإنها خرب أكثرها لا سيما القلعة فإنها أجحفت بها وخرب من تلك الناحية ست قلاع، وبقيت الزلزلة تنتردد فيها نيفاً ثلاثين يوماً، ثم كشفها الله عنهم، وأما القرى بتلك الناحية فخرب أكثرها " ⁽⁴⁾.

وفي سنة (660هـ = 1261م) حدثت زلازل شديدة في بلاد الشام ومصر والعراق وبلاد الروم⁽⁵⁾.

¹ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج10، ص344.

² - المصدر نفسه، ج10، ص457.

³ - شَهْرَزُورُ: هي كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمدان (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص425 .)

⁴ - الكامل في التاريخ ج10، ص471؛ وينظر: ابن كثير، البداية والنهاية ج13، ص114؛ السيوطي، كشف، لوحة 21ب؛ العجلوني، تحريك، ص101.

⁵ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص272.

وقد وصف القلقشندي هذه الزلزلة بقوله: "وقع بالديار المصرية بمصر والقاهرة والوجهين القبلي والبحري والبلاد الشامية دمشق وصفد والكرك والشوبك وغيرها وسواد العراق زلزلة شديدة، تساقطت منها الأبنية، وتشققت الجبال، وتقطعت الصخور، وتفجرت الأرض عيوناً⁽¹⁾ وخرج الناس من مساكنهم هاربين إلى الصحارى، وظهر أثرها في النيل والبحر المالح⁽²⁾ وطفأ البحر لسببها⁽³⁾ حتى أغرق قماش القصارين⁽⁴⁾، وتكسرت القوارب والسفن، وتهدمت الجدران ومنارات الجوامع، ووقع جانب عظيم من منار الإسكندرية"⁽⁵⁾.

¹ - يذكر علماء المسلمين حادثة تدفق المياه الجوفية كمظهر من مظاهر حدوث الزلازل، وقد أثبتت الأبحاث العلمية صحة هذا الأمر؛ ينظر: ابن رشد، ابن رشد، أبو الوليد محمد بن رشد الحفيد، تلخيص الآثار العلوية، تقديم وتحقيق: جمال الدين العلوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ص129؛ الغنيم، سجل الزلازل، ص355-357.

² - يقصد به البحر المتوسط؛ (اليقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، البلدان، ط1، السلسلة الجغرافية 6، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1408هـ = 1988م، ص96؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص395، مادة قسطنطينة).

³ - التفسير العلمي لهذه الظاهرة هو ما يعرف بالزلازل البحرية (تسونامي)، ينظر: ألبرت، رمسيس ناشد حنا، الزلازل وتأثيرها على الاقتصاد القومي في مصر ودور الشبكة القومية لرصد الزلازل والتفجيرات الصناعية للحد من مخاطرها، إدارة الأزمات والكوارث البيئية في ظل المتغيرات والمستجدات العالمية العصرية، المؤتمر السنوي العاشر، الأبحاث وأوراق العمل، البحث السابع، م1، الفترة من 3 - 4 ديسمبر 2005م، كلية التجارة، وحدة ا.د محمد رشاد الحملوي لبحوث الأزمات دار الضيافة، جامعة عين شمس، القاهرة، ص199؛ الغنيم، سجل الزلازل، ص359.

⁴ - القصار: (المبيض للثياب، وكان يهياً النسيج بعد نسجه ببله) مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ص394.

⁵ - مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1964م، ج1، ص219.

وفي (رمضان 661هـ = يوليو 1263م) زلزلت الموصل زلزلة عظيمة،
وتهدمت أكثر دورها⁽¹⁾.

وفي سنة (674هـ = 1275م) زلزلت مدينة أخلاط وديار بكر، ولم
تذكر المصادر مدى ما أحدثته من أضرار⁽²⁾.

ومن الواضح أن القرن السابع كان الأقل في عدد الزلازل وقوتها، حيث
لم تضرب العراق خلاله إلا سبعة زلازل، كانت خفيفة في معظمها، إذ لم
يتحدث مؤرخونا إلا عن زلزلتين تسببتا بأضرار مادية.

¹ - ابن كثير، البداية والنهاية ج13، ص276؛ السيوطي، كشف، لوحة 23؛ العجلوني،
تحريك، ص104.

² - ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13، ص316 .

الخاتمة ونتائج البحث:

تم بحمد الله تعالى الانتهاء من هذا البحث، وقد توصل الباحثان من خلاله إلى نتائج عديدة أهمها:

- أن العراق تعرض خلال مرحلة الدراسة إلى أربع وأربعين زلزلة حسب ما أوردته مصادرنا.
- أن خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات الخاصة والعامة قد حلت بسكان العراق نتيجة للزلازل.
- أن ظواهر طبيعية قد سبقت وأعقبت بعض زلازل العراق حسب ملاحظات عدد من المؤرخين.
- أن كثيراً من زلازل العراق كان يعقبها هزات ارتدادية، وأن بعض هذه الهزات كانت تستمر مدداً طويلة.
- أن كثيراً من الزلازل التي ضربت العراق قد ضربت في الوقت نفسه بلداناً مجاورة أو بعيدة، كمصر والأندلس والشام والقسطنطينية وبلاد المغرب وخراسان، وكانت مدمرة أحياناً في تلك البلدان، مما يدل على أن مراكز بعضها كان خارج بلاد العراق.
- أن ثمانية زلازل قد هزت العراق في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، سبعة منها شديدة نتج عنها خسائر بشرية ومادية، وواحدة خفيفة لم ينجم عنها خسائر.
- أن سبعة زلازل قد هزت العراق في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، منها خمسة فقط تسببت بأضرار بشرية ومادية.
- أن ثمانية زلازل قد هزت العراق في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، منها أربعة شديدة تسببت بخسائر بشرية ومادية.

- أن أكثر من أربعة عشر زلزالاً قد هز العراق في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، منها تسعة فقط تسبب بخسائر بشرية ومادية، ويعد هذا القرن أكثر القرون التي تعرضت فيها العراق للزلازل خلال مدة الدراسة.
- أن سبعة زلازل قد هزت العراق في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وأن واحداً منها فقط كان شديداً نتج عنه أضرار مادية.

زلازل خراسان في المصادر الإسلامية¹

(من القرن الأول إلى القرن السابع الهجري/السابع إلى الثالث عشر
الميلادي)

¹ - بحث محكم ومقبول للنشر في مجلة الجامعة الإسلامية بغزة.

الملخص العربي

تناولت الدراسة الزلازل التي هزت خراسان من القرن الأول إلى القرن السابع الهجري/ السابع إلى الثالث عشر الميلادي، وقد تبين بعد الخوض في عدد كبير من مصادرنا التاريخية والأدبية والدينية والجغرافية وكتب الرحلات أنه قد هزت خراسان خلال هذه المدة ستاً وعشرين زلزلة، كان أولها في بلخ والجوزجان والفارياب والطالقان في (ذي الحجة-سنة 203هـ= مايو-819م)، وآخرها في شهرزور بتاريخ (25-ذي القعدة-623هـ=16-نوفمبر-1226م)، وقد أدت هذه الزلازل إلى خسائر فادحة في الأرواح، إذ قدر عدد القتلى في بعضها بمئات الألوف، بينما قدر عددهم في بعضها الآخر بعشرات الألوف، إضافة إلى الخسائر المادية الجسيمة التي أدت في بعض الأحيان إلى تدمير كامل للعديد من المدن والقرى.

Abstract

This research aims to collect study and document the data mentioned in the Islamic sources regarding the earthquakes that hit the Arab Khorasan between the seventh and the thirteen century A.D. Hundreds of historic, literal, geographic and religious sources have been explored in addition to many travel diaries and translations. This has led to very important findings which are documented in this research as it turned out that the number of earthquakes that hit khorasan in the period of interest were twenty six. The first earthquake occurred in (...A.D=203 H) while the last one took place in (623H). It is also understood that earthquakes in Khorasan were very strong and causing many victims and huge damages compared with those occurred in the Arab peninsula during the same era

البحث:

لم أجد في مصادرنا الإسلامية أي ذكر لزلازل ضربت خراسان⁽¹⁾ في القرنين الأول والثاني الهجريين/السابع والثامن الميلاديين، وأول زلزلة سجلتها مصادرنا في خراسان كانت في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وتحديداً في (ذي الحجة-سنة 203هـ= مايو-819م)، وقد أقامت سبعين يوماً وهلك بها خلق كثير وبلاد كثيرة⁽²⁾، وقد تحدث عنها ابن الأثير فقال: "وكانت بخراسان زلازل عظيمة ودامت مقدار سبعين يوماً، وكان معظمها ببلخ⁽³⁾ والجوزجان⁽⁴⁾ والفارياب⁽⁵⁾ والطاقان⁽⁶⁾ وما وراء النهر، فخربت البلاد، وتهدمت الدور، وهلك فيها خلق كثير"⁽⁷⁾، وذكرها ابن الجوزي فقال: "وفي زمن المأمون زلزلت

¹ - خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق أذوار قصبه جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو وهي كانت قصبته، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها، وبعد ما وراء النهر منها. ياقوت، معجم، ج2، ص350.

² - ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج2، ص5.

³ - بلخ: أول بلاد خراسان من جهة نهر جيحون، كثيرة الشجر والخضر والأنهار والأودية والعمارة حسنة الموقع ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ج1، ص80، 81.

⁴ - الجوزجان: إحدى مدن خراسان، تقع إلى الشمال من بلخ، ينظر: ياقوت، معجم، ج3، ص323.

⁵ - الفارياب: من مدن خراسان، تقع غربي جيحون، وتبعد عنه نحو ثمانية فراسخ، وبالقرب منها الجوزجان وطخارستان، ينظر: ياقوت، معجم، ج2، ص351.

⁶ - الطالقان: بلدتان إحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ بينها وبين مرو الروذ ثلاث مراحل، وأكبر مدينة بطخارستان طالقان، وهي مدينة في مستوى الأرض. ينظر: ياقوت، معجم، ج4، ص6.

⁷ - الكامل، ج5، ص451.

مرو⁽¹⁾ في سنة ثلاث ومائتين حتى سقطت منارة المسجد وسقط مسجد الجامع ببلخ ونحو من ربيع المدينة⁽²⁾.

أما الزلزلة الثانية فكانت في (شوال-سنة224هـ = أغسطس-839م) حيث ذكر كل من ابن الجوزي وابن العماد أن زلزلة هزت مدينة فرغانة⁽³⁾ في هذا التاريخ، فمات منها أكثر من خمسة عشر ألفاً⁽⁴⁾، وتحدث ابن تغري بردي عن هذه الزلزلة لكنه ذكرها في أحداث سنة 223هـ، حيث قال: " وفيها في شوال زلزلت فرغانة فمات تحت الهدم خمسة عشر ألفاً من الناس"⁽⁵⁾، والواضح أنه يتحدث عن الزلزلة نفسها، لكنه أخطأ في سنة وقوعها، وما يجعلنا نرجح أن الزلزلة المذكورة وقعت في سنة224هـ هو أن ابن الجوزي أقرب زماناً ومكاناً إلى الحدث من ابن تغري بردي، وأن هناك من أكد رواية ابن الجوزي وهو ابن العماد، بينما لم يرد التاريخ الذي ذكره ابن تغري بردي عند أحد غيره.

وفي (1-جمادى الأولى-225هـ = 8-مارس-840م) " كانت رجفة بالأهواز⁽⁶⁾ عظيمة، تصدعت منها الجبال، وخصوصاً الجبل المطل على

¹ - مرو: بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده واو، مدينة بفارس معروفة. ينظر: البكري، معجم، ج4، ص1216.

² - تلقيح، ج1، ص63. ينظر: ابن تغري بردي، النجوم، ج2، ص174.

³ - فرغانة: بالفتح ثم السكون وغين معجمة وبعد الألف نون مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان في زاوية من ناحية هيطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك كثيرة الخير واسعة. ياقوت: معجم، ج4، ص253.

⁴ - ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص89؛ ابن العماد، شذرات، ج2، ص52.

⁵ - ابن تغري بردي، النجوم، ج2، ص238.

⁶ - الأهواز: بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان ينظر: ياقوت، معجم، ج2، ص404.

الأهواز، ودامت أربعة أيام بلياليها، وهرب أهل البلدة إلى البر وإلى السفن، وسقطت فيها دور كثيرة، وسقط نصف الجامع، ومكثت ستة عشر يوماً⁽¹⁾، وقد تحدث عن هذه الزلزلة ابن الأثير لكنه ذكرها مع أحداث سنة 226هـ، إذ يقول: "في هذه السنة زلزلت الأهواز زلزلة شديدة خمسة أيام، وكان مع الزلزلة ريح شديدة، فخرج الناس عن منازلهم، وخرب كثير منها"⁽²⁾ والأرجح أن ابن الأثير يتحدث عن الزلزلة نفسها التي ضربت الأهواز، لكنه أخطأ في تحديد سنة وقوعها، إذ أن كل من تحدثوا عن هذه الزلزلة أكدوا أنها وقعت في سنة 225هـ⁽³⁾.

وفي سنة (241هـ = 855م) "كانت بالري"⁽⁴⁾ زلزلة شديدة هدمت المساكن ومات تحتها خلق كثير لا يحصون وبقيت تتردد فيها أربعين يوماً"⁽⁵⁾. وفي (شعبان 242هـ = ديسمبر 856م) ضربت بلاد خراسان زلازل هائلة، أسهب في وصفها المؤرخون، فاليعقوبي يصفها فيقول: "وكانت الزلازل

¹ - ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص99. ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص243؛ ابن العماد، شذرات، ج2، ص56.

² - ابن الأثير، الكامل، ج6، ص67.

³ - ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص99؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص243؛ ابن العماد، شذرات، ج2، ص56.

⁴ - الري: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً، وإلى قزوین سبعة وعشرون فرسخاً. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص116.

⁵ - ابن الأثير، الكامل، ج6، ص124-125.

بقومس⁽¹⁾ ونيسابور⁽²⁾ وما والاها سنة 242هـ، حتى مات بقومس خلق كثير، ونالتهم رجفة يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان، فمات فيها زهاء مائتي ألف، وخسف بعدة مدن بخراسان⁽³⁾.

والطبري يقول عنها: "فمما كان فيها من ذلك الزلازل الهائلة التي كانت بقومس ورساتيقها في شعبان، فتهدمت فيها الدور، ومات من الناس بها مما سقط عليهم من الحيطان وغيرها بشر كثير، ذكر أنه بلغت عدتهم خمسة وأربعين ألفاً وستة وتسعين نفساً، وكان عظم ذلك بالدامغان⁽⁴⁾، وذكر أنه كان بفارس وخراسان والشام في هذه السنة زلازل وأصوات منكرة، وكان باليمن أيضاً مثل ذلك مع خسف بها"⁽⁵⁾.

وابن الجوزي يقول: "وفي شعبان زلزلت الدامغان فسقط نصفها على أهلها وعلى الوالي فقتله، ويقال إن الهالكين كانوا خمسة وأربعين ألفاً، وكانت

¹ - قومس: معجم البلدان كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع وهي في ذيل جبال طبرستان وأكبر ما يكون في ولاية ملكها وقصبتها المشهورة دامغان وهي بين الري ونيسابور ومن مدنها المشهورة بسطام وبيار. ينظر: ياقوت، معجم، ج4، ص414.

² - نيسابور: مدينة جليلة في مستو من الأرض، وأبنيتها من طين، وهي قديمة البناء، ومقدارها ثلاثة أميال في مثلها، ولها ربض كبير عامر دائر بها، ومسجد جامعها في ربضها، ولها قصبة... ونيسابور حدود واسعة ورساتيق عامرة، وفيها مدن كثيرة معروفة مثل البوزجان ومالن وخايمند وسلومك وسنكان وزوزن وكندر وترشيز وخان روان وازانوار وخسروكرد وبهم اباد واسفرايين وخوجان وريوند ونوقان وتروغوذ. ينظر: الإدريسي، نزهة، ج2، ص690.

³ - تاريخ اليعقوبي، ج2، ص491.

⁴ - الدامغان: بلد كبير بين الري ونيسابور وهو قصبة قومس. ياقوت، معجم، ج2، ص433.

⁵ - تاريخ، ج5، ص325.

بقومس ورساتيقيها في هذا الشهر زلازل، فهدمت منها الدور، وسقطت بدس⁽¹⁾
كلها على أهلها، وسقطت بلدان كثيرة على أهلها، وسقط نحو من ثلثي بسطام،⁽²⁾

¹ - بدس: بالفتح وتشديد ثانية وفتح و بدس من قرى اليمن. ينظر: ياقوت، معجم، ج1، ص358.

² - بسطام: بالكسر ثم السكون بلدة كبيرة بقومس على جادة الطريق إلى نيسابور بعد دامغان
بمرحلتين. ينظر: ياقوت، معجم، ج1، ص421.

وزلزلت الري وجرجان⁽¹⁾ وطبرستان⁽²⁾ ونيسابور وأصبهان⁽³⁾ وقم⁽⁴⁾ وقاشان⁽⁵⁾ وذلك كله⁽⁶⁾.

ويتحدث عن هذه الزلزلة كل من ابن الأثير⁽¹⁾ وابن كثير⁽²⁾ وابن تغري بردي⁽³⁾ والسيوطي⁽⁴⁾، وهم يكررون المعلومات نفسها التي ذكرها المؤرخون السابقون.

¹ - جرجان: بالضم، مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان فبعض يعدها من هذه وبعض يعدها من هذه، وقيل إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين ولها تاريخ ألفه حمزة بن يزيد السهمي. ينظر: ياقوت، معجم، ج2، ص119.

² - طبرستان: بلاد كثيرة عامرة كثيرة المياه والثمار والأشجار والغياض بها كثيرة وأبنيتها الخشب والقصب والمطر عندهم في أكثر الأوقات ومن مدن طبرستان آمل وناتل وكلار وميلة ومامطير وسارية وطميسة وأستاراباذ وجرجان ودهستان وآبسكون وشالوس وموقان والطاقان وويمه وخوار وسمنان والدامغان وبسطام ورويان وترنجي وجبال الديلم. ينظر: الإدريسي، نزهة، ج2، ص678.

³ - أصبهان: مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ويسرفون في وصف عظمها حتى يتجاوزوا حد الاقتصاد إلى غاية الإسراف وأصبهان اسم للإقليم بأسره وكانت مدينتها أولاً جيا ثم صارت اليهودية وهي من نواحي الجبل في آخر الإقليم الرابع. ينظر: ياقوت، معجم، ج1، ص206.

⁴ - قم: بالضم وتشديد الميم وهي كلمة فارسية مدينة تذكر مع قاشان وطول قم أربع وستون درجة وعرضها أربع وثلاثون درجة وثلثان وهي مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها وأول من مصرها طلحة بن الأحوص الأشعري وبها آبار ليس في الأرض مثلها عذوبة ويردأ. ينظر: ياقوت، معجم، ج4، ص397.

⁵ - قاشان: بالشين المعجمة وآخره نون مدينة قرب أصبهان تذكر مع قم. ينظر: ياقوت، معجم، ج4، ص296.

⁶ - ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص294.

وفي (ذي الحجة 249هـ = محرم - 864م) أصاب أهل الري زلزلة شديدة جداً، وتبعها رجفة هائلة تهدمت منها الدور ومات منها خلق كثير وخرج بقية أهلها فنزلوا خارج المدينة (5).

وفي سنة (260هـ = سبتمبر 877م) هزت زلزلة عظيمة جرجان، استمرت ثلاثة أيام، فتسببت في قتل ألفين من جنود يعقوب بن الليث الصفار، الذي كان في حالة حرب مع خصومه، ويحاول أن يقيم له دولة في خراسان، وقد أضعفت هذه الخسائر الصفار، وأدت إلى سيطرة خصومه على طبرستان (6).

وفي سنة (280هـ = 893م) "زلزلت ديبل" (7)، فسقط أكثر البلد، وهلك نحو من ثلاثين ألفاً، ثم زلزلت مرات، ومات أزيد من مائة ألف (8)، وتحدث عن هذه الزلزلة ابن العماد فقال: "زلزلت ديبل في الليل، فأصبحوا فلم يبق من المدينة إلا اليسير، فأخرج من تحت الهدم خمسون ومائة ألف ميت" (9).

1 - الكامل، ج6، ص126.

2 - البداية، ج10، ص343.

3 - النجوم، ج2، ص307.

4 - تاريخ الخلفاء، ج1، ص348.

5 - الطبري، تاريخ، ج5، ص359؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص155؛ ابن كثير، البداية، ج11، ص4.

6 - الصفيدي، الوافي بالوفيات ج28، ص58.

7 - ديبل: بفتح أوله وسكون ثانيه وباء موحدة مضمومة ولام، مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند. ياقوت، معجم، ج2، ص459.

8 - الذهبي، سير، ج13، ص472.

9 - ابن العماد، شذرات، ج2، ص175.

وفي سنة (331هـ = 943م) " كانت زلزلة عظيمة ببلاد نسا⁽¹⁾، سقط منها عمارات كثيرة، وهلك بسببها خلق كثير"⁽²⁾.

وفي سنة (345هـ = 956م) " زلزلت همذان⁽³⁾ زلزالاً شديداً، فتهدمت البيوت، وانشق قصر شیرين بصاعقة، ومات تحت الهدم خلق كثير، لا يحصون كثرة"⁽⁴⁾.

وفي (ذي الحجة - 346هـ = فبراير - 958م) ضربت زلزلة شديدة مناطق عدة من خراسان، وقد تحدث عنها العديد من المؤرخين، فقال ابن الأثير: " وفيها كانت بالعراق وبلاد الجبال وقم ونواحيها زلازل كثيرة متتابعة، دامت نحو أربعين يوماً، تسكن وتعود، فتهدمت الأبنية، وغارت المياه، وهلك تحت الهدم من الأمم الكثير، وكذلك كانت زلزلة بالري ونواحيها، مستهل ذي الحجة، أخرجت كثيراً من البلد، وهلك من أهلها كثير، وكذلك أيضاً الزلزلة بالطالقان ونواحيها عظيمة جداً، أهلكت أمماً كثير"⁽⁵⁾.

¹ - نسا: بفتح أوله من مدن خراسان معروفة والصحيح في النسبة إليها نسوي. البكري، معجم، ج4، ص1305؛ وهي مدينة خصيبة كثيرة المياه والبساتين، وهي في القدر نحو سرخس، ومباهم كثيرة تجري في ديارهم وسككهم وهي في غاية النزهة والحسن، ولها رساتيق خصيبة والجبال تكنفها من شمالها. الإدريسي، نزهة، ج2، ص693.

² - ابن كثير، البداية، ج11، ص205.

³ - همذان: مدينة كبيرة القطر كثيرة العامر ولها أسواق وتجارات دائرة وأهلها أهل نبالة وأدب وفضل. الإدريسي، نزهة، ج11، ص672.

⁴ - ابن كثير، البداية، ج11، ص230.

⁵ - الكامل، ج7، ص259.

وقال الياضي: "وكان بالري زلازل عظيمة، وخسف ببلد الطالقان، في ذي الحجة، ولم يفلت من أهلها إلا نحو من ثلاثين رجلاً، وخسف بخمسين ومائة قرية من قرى الري" (1).

وقال السيوطي: "وفي سنة ست وأربعين نقص البحر ثمانين ذراعاً، وظهر فيه جبال وجزائر وأشياء لم تعهد، وكان بالري ونواحيها زلازل عظيمة، وخسف ببلد الطالقان، ولم يفلت من أهلها إلا نحو ثلاثين رجلاً، وخسف بمائة وخمسين قرية من قرى الري، واتصل الأمر إلى حلوان، فخسف بأكثرها، وقذفت الأرض عظام الموتى، وتفجرت منها المياه، وتقطع بالري جبل، وعلقت قرية بين السماء والأرض بمن فيها نصف النهار، ثم خسف بها، وانخرقت الأرض خروفاً عظيمة، وخرج منها مياه منتنة ودخان عظيم" (2).

وقد أكد كل من الذهبي وابن كثير وابن العماد المعلومات الواردة عن هذه الزلزلة عند ابن الأثير والياضي والسيوطي (3). وبالرغم من تأكيد معظم المؤرخين على القرية التي علقت بين السماء والأرض نصف النهار ثم خسف بها، فإني أستبعد حدوث ذلك، لأن حدوثه خارق للعادة، خارج عن القوانين الكونية التي وضعها الله لسير الكون، ولعل هذه المعلومة قد وصلت إلى كتب المؤرخين من خلال رواية مبالغين، أحبوا من خلال المبالغة أن يصوروا ضخامة الحدث، أو واهمين أذهلهم هول الخسف وشدة الزلازل، وكثيراً ما تصاحب الأحداث المهمة والخطيرة الأساطير والمبالغات. كما أن ابن الأثير امتنع عن تسجيل هذه الرواية الغربية عندما أرخ لهذه الزلزلة (4).

¹ - مرآة الجنان، ج2، ص339.

² - تاريخ، ج1، ص399-400.

³ - ينظر: العبر، ج2، ص276؛ البداية، ج11، ص232؛ شذرات، ج2، ص371.

⁴ - ينظر: الكامل، ج7، ص259.

وفي سنة (347هـ = 958م) "عادت الزلازل بقم وحلوان⁽¹⁾ والجبال فأتلفت خلقاً عظيماً"⁽²⁾.

وفي (شعبان 398هـ = إبريل - 1007م) هزت مناطق عدة من خراسان زلزلة شديدة تحدث عنها عدد من المؤرخين، إذ وصفها ابن الأثير فقال: "وفيها زلزلت الدينور زلزلة شديدة، خربت المساكن، وهلك خلق كثير من أهلها الذين دفنوا ستة عشر ألفاً سوى من بقي تحت الهدم ولم يشاهد"⁽³⁾. وتحدث عنها الذهبي فقال: "وفيها زلزلت الدينور"⁽⁴⁾، فهلك تحت الردم أزيد من عشرة آلاف، وزلزلت سيراف⁽⁵⁾ والسيب⁽⁶⁾ وغرق عدة مراكب"⁽⁷⁾.

¹ - حلوان: مدينة عامرة ليس بأرض العراق بعد الكوفة والبصرة وواسط وبغداد وسر من رأى أكبر منها، وأكثر ثمارها التين وهي بقرب الجبل وليس للعراق مدينة بقرب الجبل غيرها، وربما يسقط بها الثلج، وأما أعلى جبلها فإن الثلج يسقط به دائماً. ينظر: ياقوت، معجم، ج2، ص291.

² - السيوطي، تاريخ، ج1، ص400.

³ - العبر، ج3، ص68. ينظر: اليافعي، مرآة، ج2، ص449؛ ابن العماد، شذرات، ج3، ص150.

⁴ - الدينور: بكسر أوله وفتح النون والواو بعدها راء مهملة مدينة من كور الجبل وهي بين العراق والري وإليها ينسب أبو حنيفة اللغوي الدينوري وغيره. البكري، معجم، ج2، ص607.

⁵ - سيراف: وهي على ساحل البحر الفارسي وهي مدينة كبيرة وبها تجار مياسير وأهلها مولعون بكسب المال واستجلابه على أي وجه أمكن وهم أكثر عباد الله تغرباً وتجولاً في الآفاق. الإدريسي، نزهة، ج1، ص410.

⁶ - السيب: بكسر أوله وسكون ثانيه وأصله مجرى الماء كالنهر وهو كورة من سواد الكوفة. ياقوت، معجم، ج3، ص293.

⁷ - الذهبي، العبر، ج3، ص68.

وذكرها ابن كثير فقال: "وفي شعبان منها زلزلت الدينور زلزالاً شديداً، وسقطت منها دور كثيرة، وهلك للناس شيء كثير من الأثاث والأمتعة... ووقعت رجفة بشيراز⁽¹⁾ غرق بسببها مراكب كثيرة في البحر"⁽²⁾.

وتحدث عنها ابن تغري بردي فقال: "وفيها زلزلت الدينور، فهدمت المنازل، وأهلكت ستة عشر ألف إنسان، وخرج من سلم إلى الصحراء، وبنوا لهم أكواخاً من القصب، وذهب من الأموال ما لا يعد ولا يحصى"⁽³⁾.

وفي (17-ربيع أول 434هـ = 4-نوفمبر-1042م) هزت مدينة تبريز⁽⁴⁾ زلزلة عظيمة، روى تفاصيلها ناصر خسرو عن بعض أهلها الذين حدثوه عنها عندما زارها في (20-صفر-438هـ = 27-أغسطس-1046م)⁽⁵⁾، فقال: "وحكوا لي أنه في ليلة الخميس السابع عشر من ربيع الأول 434هـ في الأيام المستترقة بعد العشاء زلزلت الأرض، فخرّب جزء من المدينة، ولم يصب الجزء الآخر بسوء، ويقال إنه هلك فيها حينئذ أربعون ألف نسمة"⁽⁶⁾.

وتحدث عنها ابن الأثير فقال: "في هذه السنة كانت زلزلة عظيمة بمدينة تبريز، هدمت قلعتها وسورها ودورها وأسواقها وأكثر دار الإمارة، وسلم الأمير

¹ - شيراز: بالكسر وآخره زاي بلد عظيم مشهور معروف مذكور وهو قسبة بلاد فارس. ياقوت، معجم، ج3، ص380.

² - البداية، ج11، ص339.

³ - النجوم، ج4، ص218.

⁴ - تبريز: بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر الراء وياء ساكنة وزاي كذا ضبطه أبو سعد وهو أشهر مدن أذربيجان وهي مدينة عامرة حسناء ذات أسوار محكمة بالأجر والجص وفي وسطها عدة أنهار جارية والبساتين محيطة بها والفواكه بها رخيصة. ياقوت، معجم، ج2، ص13.

⁵ - سفر نامه، ج1، ص38.

⁶ - المصدر نفسه، ج1، ص38.

لأنه كان في بعض البساتين، فأحصي من هلك من أهل البلد فكانوا قريباً من خمسين ألفاً، ولبس الأمير السواد والمسوح لعظم المصيبة، وعزم على الصعود إلى بعض قلاع خوافاً من توجه الغز السلجوقية إليه⁽¹⁾.

وذكرها ابن كثير فقال: "وفيها كانت زلزلة عظيمة بمدينة تبريز، فهدمت قلعتها وسورها ودورها ومن دار الإمارة عامة قصورها، ومات تحت الهدم خمسون ألفاً، ولبس أهلها المسوح لشدة مصابهم"⁽²⁾.

وأكد المعلومات نفسها ابن تغري بردي فقال: "فيها ورد الخبر من تبريز أن زلزلة عظيمة وقعت بها، هدمت قلعتها وسورها وكثيراً من دورها ومساكنها، ونجا أميرها بنفسه، وأحصى من مات تحت الهدم فكانوا خمسين ألفاً، ولبس الناس بها السواد، وجلسوا على المسوح لعظم هذه المصيبة"⁽³⁾.

وفي سنة (444 هـ = 1052م) ضربت زلزلة مناطق عدة من خراسان تحدث عنها ابن الأثير فقال: "وفيها زلزلت خوزستان"⁽⁴⁾ وأرجان⁽⁵⁾ وإيذج⁽⁶⁾

¹ - الكامل، ج8، ص260.

² - البداية، ج12، ص50.

³ - النجوم، ج5، ص35.

⁴ - خوزستان: بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان، وأرضها أشبه شيء بأرض العراق وهوائها وصحتها، فإن مياهها طيبة جارية ولا أعرف بجميع خوزستان بلداً ماؤهم من الآبار، لكثرة المياه الجارية بها. ياقوت، معجم، ج2، ص404-406.

⁵ - أرجان: بفتح أوله وتشديد الراء وجيم وألف ونون، وعامة العجم يسمونها أرغان، وهي مدينة كبيرة كثيرة الخير بها نخيل كثيرة وزيتون وفواكه، وهي برية بحرية سهلية جبلية ماؤها يسيح، بينها وبين البحر مرحلة، وبينها وبين شيراز ستون فرسخاً، وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخاً. ياقوت، معجم، ج1، ص142-143.

⁶ - إيذج: الدال معجمة مفتوحة وجيم، كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان، وهي أجل مدن هذه الكورة، وهي في وسط الجبال، يقع بها ثلج كثير يحمل إلى الأهواز والنواحي، وإيذج كثيرة الزلازل وبها معادن كثيرة. ياقوت، معجم، ج1، ص288.

وغيرها من البلاد زلازل كثيرة، وكان معظمها بأرجان، فخرّب كثير من بلادها وديارها، وانفجر جبل كبير قريب من أرجان وانصدع، فظهر في وسطه درجة مبنية بالآجر والجص، قد خفيت في الجبل فتعجب الناس من ذلك، وكان بخراسان أيضاً زلزلة عظيمة خربت كثيراً، وهلك بسببها كثير، وكان أشدها بمدينة بيهق⁽¹⁾، فأتى الخراب عليها، وخرّب سورها ومساجدها، ولم يزل سورها خراباً إلى سنة أربع وستين وأربعمائة فأمر نظام الملك ببنائه⁽²⁾.

وذكرها ابن كثير فقال: "وفيها كانت زلازل عظيمة في نواحي أرجان والأهواز وتلك البلاد تهدم بسببها شيء كثير من العمران وشرفات القصور، وحكى بعض من يعتد قوله: أنه انفجر إيوانه، وهو يشاهد ذلك، حتى رأى السماء منه، ثم عاد إلى حاله لم يتغير"⁽³⁾.

وأكد المعلومات نفسها صاحب النجوم الزاهرة فقال: "وفيها كانت في مدينة أرجان والأهواز زلازل عظيمة ارتجت منها الأرض، وقلعت الجبال، وخربت القلاع، وامتدت هذه الزلازل إلى بلاد كثيرة"⁽⁴⁾، وصاحب شذرات الذهب فقال: "كانت بأرجان والأهواز وتلك النواحي زلازل انقلعت منها الحيطان، فحكى من يُعتمد قوله: أنه كان قاعداً في إيوان داره فانفجر، حتى رأى السماء من وسطه، ثم رجع"⁽⁵⁾.

¹ - بيهق: بالفتح أصلها بالفارسية بيهه يعني بهاعين، ومعناه بالفارسية الأجود، ناحية كبيرة وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة من نواحي نيسابور، تشتمل على ثلاثمائة وإحدى وعشرين قرية بين نيسابور وقومس وجوين، بين أول حدودها ونيسابور ستون فرسخاً. ياقوت: معجم، ج1، ص537.

² - الكامل، ج8، ص310.

³ - البداية، ج12، ص53.

⁴ - ابن تغري بردي، ج5، ص53.

⁵ - ابن العماد، ج3، ص271.

وفي (شوال 450هـ = نوفمبر 1058م) "كانت زلزلة عظيمة بالعراق والموصل ووصلت إلى همدان، ولبثت ساعة فخربت كثيراً من الدور، وهلك فيها الجمل الغفير"⁽¹⁾، ومن الواضح أن مركزها كان في العراق، وأنها وصلت إلى همدان فشعر بها الناس، لكنها لم تكن مؤثرة فيها، إذ لم تذكر مصادرنا شيئاً عن تعرض خراسان لزلزال مؤثرة في هذه السنة.

وفي (جمادى الآخرة 458هـ = مايو 1066م) تعرضت خراسان لزلزلة تحدث عنها ابن كثير فقال: "وفي جمادى الآخرة كانت بخراسان زلزلة مكثت أياماً تصدعت منها الجبال، و هلك جماعة، وخسف بعدة قرى، وخرج الناس إلى الصحراء وأقاموا هنالك"⁽²⁾.

وفي (سنة 478هـ = 1085م) "كانت زلزلة شديدة بخوزستان وفارس"⁽³⁾ وكان أشدها بأرجان فسقطت الدور وهلك تحتها خلق كثير"⁽⁴⁾.

وفي (سنة 508هـ = 1114م) ضربت زلزلة هائلة أرض الجزيرة الفراتية، وصلت إلى خراسان، فأدت إلى هدم بعض دورها، يروي ابن كثير تفاصيلها فيقول: "وفيها كانت زلزلة هائلة بأرض الجزيرة، هدمت منها ثلاثة عشر برجاً، ومن الرها، بيوتاً كثيرة، وبعض دور خراسان، ودوراً كثيرة في

¹ - ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 348. ينظر: البداية، ج 12، ص 79.

² - البداية، ج 12، ص 93.

³ - فارس: ولاية واسعة وإقليم فسيح، أول حدودها من جهة العراق أرجان، ومن جهة كرمان السيرجان، ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف، ومن جهة السند مكران. ياقوت، معجم، ج 4، ص 226.

⁴ - الكامل، ج 8، ص 441.

بلاد شتى، فهلك من أهلها نحو من مائة ألف، وخسف بنصف قلعة حران، وسلم نصفها، وخسف بمدينة سميساط⁽¹⁾، وهلك تحت الردم خلق كثير⁽²⁾.
وفي (ربيع الأول 524هـ=فبراير 1130م) "كانت زلزلة عظيمة في ربيع الأول بالعراق وبلد الجبل"⁽³⁾ والموصل والجزيرة فخربت كثيراً⁽⁴⁾.
وفي (شعبان 528هـ=يوليو 1134م) "زلزلت الأرض بالعراق والموصل وبلاد الجبل وغيرها وكانت شديدة وهلك فيها كثير من الناس"⁽⁵⁾.
وفي (سنة 533هـ= 1138م) زلزلت جنزة⁽⁶⁾ "فأهلكت مائتي ألف وثلاثين ألفاً...جاء الخبر أنه خسفت جنزة وصار مكان البلد ماء أسود"⁽⁷⁾.
كما أكد وقوعها السيوطي، حيث قال: "كان بجنزة زلزلة عظيمة عشرة فراسخ في مثلها، فأهلكت خلائق، ثم خسف بجنزة وصار مكان البلد ماء أسود"⁽⁸⁾.

¹ - سُميساط: بضم أوله وفتح ثانيه ثم ياء مثناة من تحت ساكنة وسين أخرى ثم بعد الألف طاء مهملة، مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات. ياقوت، معجم، ج3، ص258.

² - البداية، ج12، ص178.

³ - بلد الجبل: تقع قرب الري . ياقوت، معجم، ج2، ص103؛ ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج7، ص65.

⁴ - ابن الأثير، الكامل، ج9، ص256.

⁵ - المصدر نفسه، ج9، ص287.

⁶ - جنزة: بالفتح اسم أعظم مدينة بأران وهي بين شروان وأذربيجان وهي التي تسميها العامة كنجه بينها وبين بردعة ستة عشر فرسخا خرج منها جماعة من أهل العلم. ياقوت، معجم، ج2، ص171.

⁷ - الذهبي، سير، ج20، ص403-404. ينظر: الذهبي، العبر، ج4، ص91؛ ابن العماد، شذرات، ج4، ص102.

⁸ - تاريخ، ج1، ص91.

وتحدث عن الزلزلة نفسها ابن الأثير لكنه وضعها ضمن أحداث سنة (534هـ = 1139م) إذ يقول: "وفيها زلزلت كنجة وغيرها من أعمال أذربيجان وأران إلا أن أشدها كان بكنجة فخرّب منها الكثير وهلك عالم لا يحصون كثرة قيل كان الهلكى مائتي ألف وثلثين ألفاً، وكان من جملة الهلكى ابنان لقراسنقر صاحب البلاد، وتهدمت قلعة هناك لمجاهد الدين بهروز، وذهب له فيها من الذخائر والأموال شيء عظيم"⁽¹⁾، ووافقه في تاريخ حدوثها السبكي الذي يقول: "قال ابن السمعاني خسف بجنزة في سنة أربع وثلثين وخمسمائة، وهلك فيها عالم كثير، وخلق من المسلمين، منهم المهدي بن محمد بن إسماعيل"⁽²⁾، وابن العماد الذي يقول: "خسف بجنزة، وصار مكان البلد ماء أسود، وقدم التجار من أهلها فلزموا المقابر ليكون على أهلهم"⁽³⁾، والمرجح أن الفريقين يتحدثان عن الزلزلة نفسها، وأن التاريخ الأصح لوقوعها هو سنة 533هـ، لأن معظم من أرخوا لهذه الزلزلة جعلوها في أحداث هذه السنة، ولأن ابن العماد يناقض نفسه ويؤرخ لها في موضع آخر من كتابه بسنة 533هـ⁽⁴⁾، ولأن الذهبي اطلع على رأي ابن الأثير لكنه لم يقتنع به، واقتنع بالروايات التي تبين أن الزلزلة وقعت في سنة 533هـ، ووضعها في أحداث هذه السنة، مما يدل على أنه حقق في الأمر، إذ يقول في كتاب العبر: "وأما ابن

¹ - الكامل، ج9، ص315.

² - طبقات الشافعية الكبرى، ج7، ص314.

³ - شذرات، ج4، ص104.

⁴ - المصدر نفسه، ج4، ص102.

الأثير فنذكر ذلك في سنة أربع [334هـ] الآتية⁽¹⁾، ويقول في كتاب سير أعلام النبلاء: "وكذا عدهم ابن الأثير في كامله لكن أرخها في سنة أربع [334هـ]"⁽²⁾. ويبدو أن النقل عن ابن الأثير هو الذي أوقع السبكي وابن العماد في الخطأ نفسه.

وفي سنة (544هـ = 1149م) "زلزلت الأرض زلزلة عظيمة فقل إن جبلاً مقابل حلوان ساخ في الأرض"⁽³⁾، وعن هذه الزلزلة يقول ابن كثير: "وفي هذه السنة زلزلت الأرض زلزلاً شديداً، وتموجت الأرض عشر مرات، وتقطع جبل بعلوان، وانهدم الرباط النهر جوري"⁽⁴⁾، وهلك خلق كثير"⁽⁵⁾.

وفي سنة (571هـ = 1175م) "زلزلت بلاد العجم من جهة العراق إلى ما وراء الري، وهلك فيها خلق كثير، وتهدمت دور كثيرة، وأكثر ذلك كان بالري وقزوین"⁽⁶⁾ (7).

وفي سنة (605هـ = 1208م) "كانت زلزلة عظيمة بنيسابور وخراسان، وكان أشدها بنيسابور، وخرج أهلها إلى الصحراء أياماً حتى سكنت،

¹ - ج 4، ص 91.

² - ج 20، ص 404.

³ - ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 363.

⁴ - نهر جور: بضم الجيم وسكون الواو وراء، بين الأهواز وميسان فيما أحسب. ياقوت، معجم، ج 5، ص 319.

⁵ - البداية، ج 12، ص 225.

⁶ - قزوین: بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده واو مكسورة وياء ونون، معروفة ببلاد الديلم. البكري، معجم، ج 3، ص 1072.

⁷ - ابن الأثير، الكامل، ج 10، ص 78.

وعادوا إلى مساكنهم⁽¹⁾. وعنها قال ابن تغري بردي: "فيها زلزلت نيسابور زلزلة عظيمة دامت عشرة أيام، فمات تحت الردم خلق كثير"⁽²⁾.

وفي يوم الأربعاء (25-ذي القعدة-623هـ=16-نوفمبر-1226م) "ضحوة النهار، زلزلت الأرض بالموصل وكثير من البلاد العربية والعجمية، وكان أكثرها بشهروزر، فإنها خرب أكثرها لا سيما القلعة، فإنها أجحفت بها، وخرب من تلك الناحية ست قلاع، وبقيت الزلزلة تتردد فيها نيفاً وثلاثين يوماً، ثم كشفها الله عنهم، وأما القرى بتلك الناحية فخرب أكثرها"⁽³⁾.

وعند التأمل في الزلازل التي ضربت خراسان في العهد الإسلامي وحسب ما سجلته مصادرها الإسلامية يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:-

- 1- خلو القرنين الهجريين الأول والثاني من أية زلازل، كذلك فقد خلا القرن الثامن الهجري من أي زلزلة.
- 2- أن معظم الزلازل التي ضربت خراسان كانت شديدة مدمرة، وقد نجم عنها خسائر بشرية فادحة، وأن ما ذكرته مصادرها من أرقام يزيد عن النصف مليون إنسان، فضلاً عن أولئك الذين قضوا تحت الأنقاض، ولم تسجل أعدادهم، وعن أصحاب القرى والبلدان الذين سجلت مصادرها أنهم هلكوا جميعاً، ولم تذكر إلا عدد الناجين منهم، والذين يقدرون بالعشرات فقط.
- 3- أن زلازل خراسان قد أدت إلى خسائر مادية جسيمة، حيث أدت إلى تدمير مدن وقرى كاملة، وأن الأهالي كانوا يلجأون إلى السكن في الصحارى والبراري فراراً من الزلازل، وأنهم كانوا يبنون فيها أكواخاً من البوص، خوفاً على أنفسهم.

¹ - المصدر نفسه، ج10، ص347.

² - النجوم، ج6، ص196.

³ - ابن الأثير، الكامل، ج10، ص471.

4- أن أكثر القرون صعوبة على خراسان من حيث عدد الزلازل وشدتها كان القرن الثالث الهجري حيث شهد ثمانية زلازل مدمرة، أدت إلى خسائر بشرية بلغت مئات الألوف من القتلى، ففي زلزال سنة 242هـ / 856م بلغ عدد من أحصي من القتلى مائتي ألف قتيل، وفي زلزال سنة 280هـ / 893م وصل عدد من أحصوا مائة وثلاثين ألف قتيل.

5- أن خمسة زلازل مدمرة قد ضربت مناطق في خراسان في كل من القرون الرابع والخامس والسادس الهجرية، أما القرن السابع فلم يسجل فيه إلا زلزلتان فقط.

6- أن أكبر إحصائية سجلتها مصادرنا لعدد القتلى في زلازل خراسان كانت في زلزلة سنة 533هـ / 1138م، حيث بلغت مائتين وثلاثين ألف قتيل.

7- أن الزلازل كانت تؤثر في حياة سكان خراسان الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فسقوط عدد هائل من السكان في وقت واحد أثر جداً في المجتمع، وهدم المدن العامرة حول الناس من الغنى والاستقرار إلى الفقر والتشرد، وقد وصل تأثير الزلازل إلى النواحي السياسية والعسكرية، إذ أدى زلزال سنة 260هـ / 877م إلى قتل ألفين من جنود يعقوب بن الليث الصفار، الذي كان يحاول أن يقيم دولة له في خراسان، فخسر المعركة مع خصومه، ولم يتمكن من تحقيق أهدافه.

8- أن معظم الزلازل في خراسان كانت مصحوبة بخسف أدى في معظم الأحيان إلى اختفاء قرى من الوجود، مثل زلزال سنة 346هـ / 958م الذي أدى إلى خسف 150 قرية، وزلزال سنة 458هـ / 1066م الذي خسفت فيه العديد من القرى.

9- أن الزلازل في خراسان كانت تستمر أياماً عديدة، تتوالى في موجات ارتدادية، مما زاد من خسائرها، وضاعف الفرع عند الناس، فزلزال سنة

203هـ / 819م استمر سبعين يوماً، وزلزال سنة 225هـ / 840م استمر ستة عشر يوماً، وزلزال سنة 241هـ / 855م استمر أربعين يوماً، وزلزال سنة 346هـ / 958م استمر أربعين يوماً، ويمكن أن يستفاد من هذه الملاحظة في معرفة طبيعة زلازل خراسان ليحذر الناس من أنها يمكن أن تتوالى وتتسبب في مزيد من الأضرار.

10- أن منطقة خراسان منطقة نشطة في الزلازل ينبغي أن تقام مبانيها ومنشأتها على أسس علمية تحميها من تأثيرات الزلازل.

الخاتمة ونتائج البحث:

تم بفضل الله تعالى وعونه الانتهاء من هذا البحث، وقد توصل الباحث من خلاله إلى النتائج الآتية:

* لم تقدم مصادرها أية أخبار عن حدوث زلازل بخراسان في القرنين الأول والثاني الهجريين.

* أول زلزلة سجلتها مصادرها هناك كانت في (ذي الحجة-سنة203هـ= مايو-

819م)، وقد استمرت سبعين يوماً وهلك بسببها خلق كثير ودمرت بلاد كثيرة.

* عدد الزلازل التي سجلتها مصادرها الإسلامية في خراسان من القرن الأول إلى القرن السابع الهجري بلغ ستاً وعشرين زلزلة.

* أدت زلازل خراسان إلى خسائر بشرية وعمرانية فادحة .

* آخر زلزلة سجلتها مصادرها خلال مدة الدراسة كانت في(25-ذي القعدة-

623هـ=16-نوفمبر-1226م).

زلازل بلاد المغرب العربي في المصادر الإسلامية¹

(ق3-ق13هـ = ق9-ق19م)

¹ - بحث محكم ومنشور في حوليات كلية الآداب- جامعة عين شمس- المجلد 40 لعام

2012م

ملخص البحث باللغة العربية

يتناول البحث الزلازل التي ضربت بلاد المغرب من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي إلى القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وقد تبين للباحث بعد البحث في مصادرنا الإسلامية أن بلاد المغرب قد تعرضت خلال مدة الدراسة إلى سبعة وعشرين زلزلة، معظمها شديدة، لكن ثمانية منها فقط قد تسببت بخسائر بشرية ومادية كبيرة، حيث رافق ثلاثاً منها خسف أدى إلى ابتلاع القرى بسكانها. كما تبين أن بعضاً من زلازل المغرب قد سبقها وأعقبها ظواهر طبيعية، كالأصوات العالية والصواعق، إضافة إلى أنه قد أعقب عدداً منها هزات ارتدادية استمرت مدة طويلة، وأن كثيراً منها كان يهز في الوقت نفسه بلداناً مجاورة وبعيدة.

Abstract

This research deals earthquakes which occurred in magreb between the ninth and the nineteenth century A.D.

After researching in Islamic sources, the researcher found that 27 earthquakes stroke maghreb during research time, most of them are strong, but only eight caused human and materiality damages, three of them swallowed many villages with their population.

The researcher found too that many natural phenomenon occurred after or before some of Maghreb's earthquakes as high voices and bolts.

And many regressive quakes had occurred after many of earthquakes, and continued for long time.

Some of Maghreb's earthquakes stroke neighbor and far countries in the same time.

البحث:

أول زلزلة ضربت بلاد المغرب العربي وسجلتها مصادرها الإسلامية كانت سنة (232هـ = 846م)، ويبدو أنها لم تكن زلزلة واحدة بل زلازل متتالية استمرت أياماً عدة، وقد هزت في الوقت نفسه مناطق عدة من بلاد الشام، وتسببت في موت كثير من الناس، إذ يقول ابن الجوزي في وصفها: "وكثر الزلازل في المغرب، وكانت زلزلة بدمشق هُدمت منها المنازل والدور، ومات خلق من الناس، وكذلك بحمص، وعظم ذلك في قرى أنطاكية"⁽¹⁾، وقد أكد هذه المعلومات كل من السيوطي والعجلوني، وبيّن أن الزلازل في هذه السنة دامت أياماً⁽²⁾.

ثم توالى الزلازل على بلاد المغرب، فقد حدث خسف⁽³⁾ سنة 240هـ (= 854م)، أدى إلى زوال ثلاثة عشر قرية من قرى القيروان، وهلاك معظم سكانها، وقد أكد ذلك عدد من المؤرخين، وقدموا عن هذا الخسف معلومات متشابهة⁽⁴⁾، لكن أول من أوردها هو ابن الجوزي الذي قال: "وخسف بثلاث عشرة قرية من قرى إفريقية"⁽⁵⁾، وقال: "كتب تجار المغرب أن ثلاث عشرة قرية من قرى القيروان خسف بها، فلم ينج من أهلها إلا اثنان وأربعون

¹ - المنتظم، ج11، ص176.

² - كشف الصلصلة، لوحة 11- أ؛ تحريك السلسلة، ص77.

³ - خسف: خَسَفَ المكان ذهب في الأرض. (الرازي، مختار الصحاح، ج 1، ص 74).

⁴ - ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 2، ص 93؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص301.

؛ ابن الجوزي، تلقيح فهوم أهل الأثر، ج1، ص64؛ ينظر: النويري الإسكندراني، الإلمام بالإعلام، ج4، ص131.

⁵ - المنتظم، ج11، ص270.

رجلاً سود الوجوه، فأتوا القيروان، فأخرجهم أهلها، وقالوا أنتم مسخوط عليكم، فبنى لهم العامل حظيرة خارج باب المدينة فنزلوها⁽¹⁾.

ولا شك أن المغرب عموماً والقيروان على وجه الخصوص قد عانت من الآثار الاقتصادية السيئة الناجمة عن هذا الخسف، حيث تتركز الزراعة والإنتاج الحيواني في العادة في القرى القريبة من المدن، وإن دمارها وخرابها وموت معظم سكانها يقضي على جزء من ثروة المغرب الزراعية والحيوانية فضلاً عن خسارة عدد كبير من القوة البشرية المنتجة.

كما تمثلت الخسارة الاقتصادية في الإنفاق الذي قام به حاكم القيروان على الناجين الذين اضطر إلى أن يبني لهم بيوتاً خارج المدينة ليسكنوا فيها، بعد أن رفض أهل القيروان أن يعيشوا بينهم.

كما كان لهذا الحدث آثاره النفسية على الناجين الذين اسودت وجوههم نتيجة الخسف، وعدهم السكان مسخوطاً عليهم من الله تعالى، ومنعواهم من السكن في القيروان حتى لا تتعرض للخسف بسببهم، إضافة للآثار النفسية المتمثلة بالخوف والقلق الذي من المؤكد أنه أصاب أهل القيروان وغيرها من مناطق المغرب بعد أن سمعوا أو رأوا ما حل بإخوانهم المجاورين لهم، ولا بد أن هذا الخسف قد أثر في علاقة المغاربة بالله عز وجل، وزادهم عبادة وبعداً عن المعاصي والذنوب، لأن المسلمين يعزون هذه الكوارث وما ينتج عنها من مصائب إلى كثرة المعاصي والذنوب، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسح وقذف، قالت: قلت يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا ظهر الخبث"⁽²⁾

¹ - م.ن، ج11، ص270 .

² - سنن الترمذي ج4، ص479.

وفي سنة (242هـ = 856م) "زلزلت الأرض زلزلة عظيمة بتونس وأعمالها"⁽¹⁾، لم تتوفر عن الخسائر التي أسفرت عنها أية معلومات، لكن الأرض تزلزلت في الوقت نفسه في "الري وخراسان ونيسابور وطبرستان وأصبهان، وتقطعت الجبال، وتشققت الأرض بقدر ما يدخل الرجل في الشق"⁽²⁾. إن حدوث زلزلة عظيمة في تونس، وبلاد خراسان في وقت واحد بالرغم من المسافة الطويلة بين البلدين أمر غريب يستحق الدراسة من قبل الجيولوجيين، وعلماء الزلازل.

وفي سنة (245هـ = 859م) هزت بلاد المغرب زلزلة أدت إلى تهدم الحصون والمنازل والقناطر؛ فأمر المتوكل بتفرقة ثلاثة آلاف ألف درهم في الذين أصيبوا بمنازلهم⁽³⁾، ولا شك أن قيام السلطة الحاكمة بواجبها نحو المتضررين، بتعويضهم بالمال يعد تحضراً وإدراكاً من الخلفاء لمسئولياتهم وواجباتهم نحو رعيّتهم، خصوصاً عندما يؤخذ في الاعتبار حجم الدمار، وانتشاره في بلدان عديدة، إذ تُبين الروايات أن قرار المتوكل شمل كل المناطق التي ضربتها الزلزلة، بالرغم من كثرتها، فقد أنفق لتغطية خسائر الناس المادية مبلغاً كبيراً بلغ ثلاثة ملايين درهم، يقول الذهبي: "فيها عمت الزلازل الدنيا، فأخربت القلاع والمدن والقناطر، وهلك خلق بالعراق والمغرب، وسقطت من أنطاكية نيف وتسعون برجاً، وتقطع جبلها الأقرع وسقط في البحر، وسمع من السماء أصوات هائلة، وهلك أكثر أهل اللاذقية تحت الردم، وذهبت جبلة"⁽⁴⁾

¹ - السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج1، ص348 .

² - المصدر نفسه، ج1، ص348.

³ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص281 - 282.

⁴ - جبلة: مدينة من مدن الشام كانت تتبع قسبة حمص. (المقدسي، أحسن التقاسيم، ج1، ص142).

بأهلها، وهدمت بالس⁽¹⁾ وغيرها. وامتدت إلى خراسان، ومات خلائق منها. وأمر المتوكل بثلاثة آلاف ألف درهم للذين أصيبوا بمنزلهم⁽²⁾. ومن الواضح أن هذه الزلزلة قد هزت الاقتصاد المغربي، وأثرت على السكان والحكام، إذ لا يخفى على أحد حجم الإنفاق المبذول في بناء المنازل والحصون والقناطر، التي عمّرت عبر عشرات السنين، ثم دمرت في لحظة واحدة.

وفي يوم الخميس (22 شوال 267هـ = 26-5-881م) "كانت زلزلة عظيمة لم يسمع بمثلها، تهدمت منها القصور، وانحطت منها الصخور من الجبال وفر الناس من المدن إلى البرية من شدة اضطراب الأرض، وتساقطت السقوف والحيطان، وفرت الطيور عن أوكارها، وماجت في السماء زماناً، حتى سكنت الزلزلة، وعمت هذه الرجفة جميع بلاد الأندلس، سهلها وجبالها وجميع بلاد العدو من تلمسان إلى طنجة، ومن البحر الرومي إلى أقصى المغرب، إلا أنها لم يمت فيها أحد لطفاً من الله تعالى بخلقه"⁽³⁾. وهذا يعني أنها أسفرت عن خسائر اقتصادية في بلاد المغرب، لكنها كانت قليلة فيما يبدو حيث لم تؤدي إلى خسائر بشرية.

¹ - بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقّة. (البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص222؛ ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص328).

² - تاريخ الإسلام، ج18، ص14؛ ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص328؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص130؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص219؛ السيوطي، كشف، لوحة11ب؛ العجلوني، تحريك، ص78-79.

³ - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص97. ينظر: الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، ص236 - 237.

ويتحدث ابن الأثير عن هذه الزلزلة ويؤكد أنها ضربت إضافة إلى المغرب كلاً من الشام ومصر وأرض الجزيرة والأندلس، ويذكر أنه " كان قبلها هدة عظيمة قوية"⁽¹⁾.

وفي سنة (299هـ = 911م) " كانت بالقيروان زلازل وهدات، وخسف بقرية في الساحل تعرف بالباس"⁽²⁾، ويصف ابن الأثير هذه الزلزلة فيقول: " وفيها كانت زلازل بالقيروان لم ير مثلاً شدة وعظمة"⁽⁴⁾. وبالرغم من عدم ورود معلومات عن خسائر بشرية في مصادرنا، إلا أنه من المؤكد أن هذه الخسائر قد وقعت، إذ لا يعقل أن يخسف بقرية دون أن تقع خسائر بشرية، ولا يعقل أن تقع في القيروان زلازل، توصف بأنه لم ير مثلاً شدة وعظمة دون أن تحدث خسائر في الأرواح، أما الخسائر الاقتصادية والآثار النفسية فهي واضحة من خلال الروايات التي تتحدث عن الخسف بقرية، وعن زلازل وهدات شديدة عظيمة.

وهزت بلاد المغرب زلزلة في يوم السبت (18 رمضان 344هـ = 5 - 1-956م)، وقد أكد المسعودي أنها ضربت في الوقت نفسه كلاً من مصر والشام، وأنها " كانت عظيمة جداً مهولة فظيعة أقامت نحو نصف ساعة زمانية"⁽⁵⁾، لكن أخبار هذه الزلزلة لم ترد إلا عند المسعودي، وهو لم يشر إلى أنها تسببت بخسائر في بلاد المغرب.

¹ - الكامل في التاريخ، ج6، ص307.

² - لم أعثر على تعريف لهذه القرية في معاجم البلدان، ولا في غيرها من المصادر الإسلامية.

³ - ابن عذاري، البيان المغرب، ص166.

⁴ - الكامل في التاريخ، ج6، ص47.

⁵ - التنبيه والإشراف، ج 1، ص 20.

ومن المؤكد أن حدوث الزلزلة في المغرب ومصر والشام في الوقت نفسه له دلالات جيولوجية لا بد أن يتوقف عندها المتخصصون، ويفيدوا منها. وذكر ابن الأثير أنه في سنة (367هـ = 977م) "كان بالمهدية⁽¹⁾ زلازل وأهوال أقامت أربعين يوماً حتى فارق أهلها منازلهم وأسلموا أمتعتهم"⁽²⁾. وقد ذكر الخبر نفسه ابن عذاري لكنه وضعه ضمن أحداث سنة (371هـ = 981م)، حيث قال: "وفي جمادى الأولى من هذه السنة [371هـ] كان بالمهدية زلازل دامت الشهر كله وعشرة أيام بعده، تزلزل في كل يوم مرات حتى هرب أكثر أهلها وأسلموا ديارهم وما فيها"⁽³⁾.

ويبدو أن المؤرخين يتحدثان عن الزلزلة نفسها لكنهما اختلفا في تاريخ وقوعها، والأرجح أنها وقعت في (جمادى الأولى 371هـ = نوفمبر 981م) حسب ما أورده ابن عذاري، لأن الأخير مؤرخ مغربي أقرب مكاناً إلى هذا الحدث من ابن الأثير، كما أنه اطلع على مصادر مغربية ربما لم تتوفر لابن الأثير، إضافة إلى أنه حدد الشهر الذي وقعت فيه الزلزلة، وهذا ما لم يفعله ابن الأثير، مما يؤكد أن ابن عذاري لم ينقل الخبر عن ابن الأثير، وإنما عن مؤرخين آخرين.

ومن الواضح أن هذه الزلازل قد خلفت آثاراً نفسية صعبة على أهل المهدية، حيث جعلت أكثر أهلها يتركون منازلهم ويهجرون مدينتهم من شدة الهلع، هذا فضلاً عن الآثار الاقتصادية التي تتجم عن ترك الديار والأعمال.

¹ - المهدية: بالفتح ثم السكون، في موضعين إحداهما بإفريقية، والأخرى اختطها عبد المؤمن بن علي قرب سلا. (ياقوت، معجم البلدان، ج 5، ص 229).

² - الكامل، ج 7، ص 380.

³ - البيان المغرب، ج 1، ص 238.

وفي سنة (432هـ=1040م) " كانت زلازل عظيمة بالقيروان، ووصلت إلى أفريقية، وخسف بعض قرى بأرض القيروان، وطلع من ذلك الخسف دخان عظيم متصل بالعيان"⁽¹⁾. ولكن لم تتوفر معلومات عن خسائر بشرية ومادية ناجمة عن هذا الخسف وتلك الزلازل، لكن من المؤكد وقوعها، إذ لا يعقل أن يخسف بقرى دون خسائر.

وهزت بلاد المغرب في (1 ربيع أول 472هـ= 1-8-1079م) " الزلزلة العظيمة التي لم ير الناس مثلاً بالمغرب، انهدمت منها الأبنية، ووقعت الصوامع والمنارات، ومات فيها خلق كثير تحت الهدم، ولم تزل الزلزلة تتعاقب في كل يوم وليلة، من أول يوم ربيع الأول إلى آخر يوم من جمادى الآخرة من السنة المذكورة"⁽²⁾. ولا بد أن هذه الزلازل الشديدة المتوالية على مدى أربعة أشهر والتي نجم عنها الكثير من الخسائر البشرية والاقتصادية قد أحدثت فزعاً كبيراً بين المغاربة، أثر على مختلف جوانب حياتهم.

وفي (شوال 504هـ= 4-1111م) " كان بالمغرب زلازل عظيمة دامت شهر شوال كله"⁽³⁾، ولم تتوفر معلومات عن الخسائر التي نجمت عنها. وفي سنة (600هـ=1203م) ضربت زلازل عظيمة بلاد الشام ومصر والعراق والجزيرة وبلاد الروم ووصلت إلى صقلية وقبرص، وامتدت إلى سبتة في أقصى المغرب، ولم تشر المصادر إلى خسائر تسببت فيها هذه الزلازل في بلاد المغرب وغيرها سوى أنها خربت سور مدينة صور⁽⁴⁾.

¹ - ابن أبيك، كنز الدرر، ج6، ص449.

² - الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 2، ص 74؛ ينظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص168.

³ - ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص305.

⁴ - ابن الأثير، الكامل، ج10، ص293-294؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص161؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص45؛ ابن أبيك، كنز الدرر، ج7، ص153؛ ابن الفرات، تاريخ، ج5، م1، ص16، المقرئزي، السلوك، ج1، ص276؛ السيوطي، كشف، ص42؛ العجلوني، تحريك، ص101.

وفي يوم الخميس (23 ذي الحجة 702هـ = 8-8-1303م) ضربت زلزلة عظيمة مصر وبلاد الشام ووصلت إلى بلاد المغرب العربي. ذكرها ابن أبيك فقال: "لما كان يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ذي الحجة قبل طلوع الشمس زلزلت الأرض زلزالاً شديداً لم يُعهد بمصر مثلاً من قبل، ثم امتدت في جميع البلاد بالشام ومصر، وأقامت تهتز تقدير ساعة فلكية، وكان لها دوي كدوي الرعد... ووصلت حتى عمت أرض برقة وبلاد تونس من المغرب، وصقلية وقابس⁽¹⁾ ومراكش، ووصلت إلى بلاد بني الأحمر المرينيين، وعت السواحل وخربت قبرص إلى الأرض... وكذلك عمت أنطاكية وأعمالها إلى العاليا وأنطالية⁽²⁾ وبعض بلاد سبس⁽³⁾، ووصلت إلى قسطنطينية العظمى"⁽⁴⁾.

¹ -قَابِسُ: مدينة بين طرابلس وسفاقس، ثم المهديّة على ساحل البحر، فيها نخل وبساتين غربي طرابلس الغرب، بينها وبين طرابلس ثمانية منازل، وهي ذات مياه جارية من أعمال إفريقية. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص328).

² -أنطالية: بلد كبير من مشاهير بلاد الروم كان أول من نزله أنطالية بنت الروم بن اليقن بن سام بن نوح أخت أنطاكية فسمي باسمها، وقال البلخي: حصن للروم على شط البحر منيع واسع الرستاق كثير الأهل ثم تنتهي إلى خليج القسطنطينية. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص320).

³ - سبس: بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت ثم سين مهملة ثانية، وهي قاعدة بلاد الأرمن. (القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص139)؛ وقال ياقوت: سبسية: وعامة أهلها يقولون سبس، بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. (ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص338).

⁴ -كنز الدرر، ج9، ص100-102؛ ينظر: بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص132؛ التحفة الملوكية، ص173.

وفي يوم الجمعة (1 محرم 977هـ = 1-1-1569م) " زلزلت الأرض زلزلاً شديداً وفزع الناس لذلك"⁽¹⁾، لكن لم تشر الرواية إلى مناطق المغرب التي ضربتها الزلزلة، ولم تحدث أية خسائر فيما يبدو .

وهزت مدينة فاس فجر يوم السبت (22 رجب 1033هـ = 5-10-1624م) زلزلة عظيمة أوقعت أضراراً مادية في معظم منازل المدينة⁽²⁾. وفي (21 - 12 - 1074هـ = 15-7-1164م) هزت بلاد المغرب زلزلة لم تتوفر عنها أية معلومات⁽³⁾

وفي (10 رمضان 1075هـ = 27-3-1665م) " وقعت زلزلة عظيمة بفاس وغيرها من بلاد المغرب"⁽⁴⁾ يصفها الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الهادي الشريف السجلماسي، مبيناً الأفكار السائدة في بلاد المغرب حول أسباب حدوث الزلازل، فيقول: " وقعت الزلزلة في التاريخ المذكور ونحن بمجلس البخاري عند شيخ الجماعة الإمام أبي محمد عبد القادر الفاسي رحمه الله، فقام كل من بالمجلس حتى الشيخ ظناً منا أن السقف يسقط علينا، لأن خُشْبَهُ صوتت، وخرج سرعان الناس يلتمسون الخبر، فأخبر بها كل من كان راقداً أو جالساً حتى النائمت، ومن كان ماشياً لم يشعر بها، فسئل الشيخ عن ذلك، وهل هو كما تزعم العامة من أن الثور الذي عليه الدنيا أو الحوت يتحرك، فأجاب بأن

¹ - الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج5، ص88.

² - المصدر نفسه، ج6، ص111.

³ - تاريخ الضعيف ص32.

⁴ الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج7، ص105.

ذلك باطل لا أصل له، وتلا قوله تعالى: "وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً"⁽¹⁾، وقال أيضاً: ذكر بعض الحكماء أن ذلك يقع في اختناق الريح في جوف الأرض"⁽²⁾. ويستدل من هذه الرواية على تفسيرات المغاربة المختلفة للأسباب المؤدية إلى حدوث الزلازل، والتي تتراوح بين الخرافات التي يرددها العوام، والتفسيرات الدينية التي تعزوها إلى أنها آيات يرسلها الله تعالى عقاباً على الذنوب، ودفعاً لعباده للتوبة والإقلاع عن المعاصي، والتفسيرات العلمية التي تعزوها إلى تقلبات في جوف الأرض.

وفي ليلة الخميس (24 ربيع أول 1079هـ = 1-9-1668م) " وقعت زلزلة عظيمة بفاس"، لم تتوفر حولها أية تفاصيل⁽³⁾.

وفي (25 رمضان 1079هـ = 26-2-1669م) " وقعت زلزلة أيضاً، وتهدم الكثير، وتهدمت طالعة فاس، من درب الحرة إلى باب المحروق"⁽⁴⁾.

وفي ضحوة (15 رمضان 1091هـ = 9-10-1680م) وقعت زلزلة عظيمة بمدينة فاس، لم تتوفر عنها أية تفاصيل⁽⁵⁾.

وفي (27 صفر 1095هـ = 14-2-1684م) " وقع كسوف الشمس، ثم خسوف القمر، ووقعت زلزلة، ثم أخرى في المغرب"⁽⁶⁾.

1 - الإسراء 59.

2 - الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج7، ص105.

3 - الضعيف، تاريخ الضعيف، ص 32.

4 - المصدر نفسه، ص32.

5 - المصدر نفسه، ص64.

6 - المصدر نفسه، ص67.

وفي يوم الخميس (13 ذي القعدة 1119هـ = 5-2-1708م) وقعت زلزلة في المغرب عند أذان الصبح، فمن المؤذنين من قطع الأذان، ومنهم من صاح دهشاً، وسقطت دور كثيرة، فكانت من أشد الأمور على الناس⁽¹⁾. وهزت المغرب في يوم السبت (26 محرم 1169هـ = 1-11-1755م) زلزلة عظيمة يقدم الناصري عنها وصفاً مسهباً فيقول: "وفي سنة تسع وستين ومائة وألف كانت الزلزلة العظيمة بالمغرب التي هدمت جل مكناسة⁽²⁾ وزرهون⁽³⁾، ومات فيها خلق كثير، بحيث أحصي من العبيد وحدهم نحو خمسة آلاف"⁽⁴⁾.

ويتحدث الناصري عن هذه الزلزلة فيقول: "مكثت ربع ساعة، وتشققت الأرض منها، واضطرب البحر وفاض، حتى ارتفع مأؤه على سور الجديدة، وفرغ فيها، ولما رجع البحر إلى مقره ترك عدداً كثيراً من السمك بالبلد، وفاض على مسارحهم ومزارعهم وأشباراتهم، فنسف ذلك كله نسفاً، واضطربت المراكب والفلك بالمرسى فتكسرت كلها، وفر نصارى البلد إلى الكنيسة، وتركوا ديارهم منفتحة، ومع ذلك لم يُفقد منها شيء، لاشتغال الناس بأنفسهم"⁽⁵⁾.

ويقول أيضاً: "وفي ضحوة يوم السبت السادس والعشرين من المحرم سنة تسع وستين ومائة وألف زلزلت الأرض زلزالها، ومادت شرقاً وغرباً، واستمرت كذلك نحو درج زمني، وفاض ماء البرك والصهاريج على البيوت،

¹ - المصدر نفسه، ص 81.

² - مكناسة: بكسر أوله وسكون ثانيه ونون وبعد الألف سين مهملة مدينة بالمغرب. (ياقوت، معجم البلدان ج 5، ص 181).

³ - زرهون: جبل قرب فاس. (ياقوت، معجم البلدان، ج 3، ص 140).

⁴ - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 3، ص 84؛ ينظر: ج 7، ص 192-193.

⁵ - المصدر نفسه، ج 3، ص 84.

وتكدرت العيون، ووقف ماء الأودية عن الجري، وسقطت الدور، وتصدعت الحيطان، وأخذ الناس في هدم ما تصدع خوف سقوطه، وفزع الناس وتركوا حوانيتهم وأمتعتهم، ووقع بمدينة سلا⁽¹⁾ أن ماء البحر انحصر عنه إلى أقصاه، فجاء الناس ينظرون إليه، فرجع الماء إلى جهة البر، وتجاوز حده المعتاد بمسافة كبيرة، فأغرق جميع من كان خارج المدينة في تلك الجهة، وصادف قافلة ذاهبة إلى مراكش فيها من الدواب والناس عدد كثير، فأتلف الجميع، ورمى بالقوارب والزوارق التي في الوادي إلى مسافة بعيدة جداً⁽²⁾.

إن التفاصيل الواردة عن هذه الزلزلة تؤكد أن ما حصل في هذه السنة هو ما يعرف اليوم بالتسونامي، وعادة ما يحدث عنه خسائر بشرية ومادية ونفسية كبيرة ومؤثرة في مختلف الجوانب الحياتية للناس.

وبعد الزلزلة السابقة بنحو ستة وعشرين يوماً أي حوالي (22 صفر 1169هـ = 1755-11-27م) "عادت زلزلة أخرى أشد من الأولى بعد صلاة العشاء، هي التي أثرت في مكناسة غاية، وهلك تحت الهدم بها نحو عشرة آلاف نفس، وفعلت بفاس أيضاً فعلاً شنيعاً"⁽³⁾.

وفي (15 صفر 1185هـ = 1755-11-27م) " قبل الفجر بقليل وقعت زلزلة بالرباط"⁴ لم تتوفر عنها في مصادرها أية معلومات.

¹ - سلا: سلا بلفظ الفعل الماضي، من سلا يسلو مدينة بأقصى المغرب، ليس بعدها معمور إلا مدينة صغيرة يقال لها غرنيطوف، ثم يأخذ البحر ذات الشمال وذات الجنوب وهو البحر المحيط. (ياقوت، معجم البلدان ج3، ص231).

² - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج3، ص84-85.

³ - المصدر نفسه، ج3، ص85.

⁴ - الضعيف، تاريخ الضعيف، ص175.

وفي (15 جمادى الثانية 1247هـ = 31-1-1885م) " حدثت زلزلة بقرية من قرى تلمسان تسمى البليدة فجعلت عاليها سافلها وهلك أهلها"⁽¹⁾.

وفي ليلة (6 شعبان 1275هـ = 11-3-1859م) " بعد العشاء الأخيرة زلزلت الأرض زلزالاً يسيراً"⁽²⁾.

وفي ليلة السبت (8 شوال 1287هـ = 1-1-1871م) " في الساعة الثالثة منها زلزلت الأرض ولم يشعر بها كثير من الناس لكونهم نياماً"⁽³⁾.

وعند التأمل في الزلازل التي ضربت بلاد المغرب خلال مدة الدراسة التي بلغت نحو عشرة قرون يلاحظ ما يلي:

1- أن سبعة وعشرين زلزلة هزت بلاد المغرب خلال مدة الدراسة حسب مصادرها الإسلامية.

2- أن عدداً من الزلازل التي ضربت بلاد المغرب وصفت باليسيرة، وأن بعضها وصف بالشدة والعظمة، لكن لم ينجم عنها خسائر بشرية حسب مصادرها الإسلامية، وأن ثمانية من الزلازل تسببت بخسائر فادحة في الأرواح والممتلكات.

3- أن ثلاثة من الزلازل التي ضربت بلاد المغرب قد نجم عنها خسف أدى إلى ابتلاع الأرض لعدد من القرى.

4- أن مدينة سلا المغربية قد شهدت سنة (1169هـ = 1755م) حالة من انحسار مياه البحر -نتيجة لزلزلة شديدة هزت المغرب- ثم اندفاعها مسافة كبيرة إلى اليابسة، مما تسبب بخسائر بشرية ومادية كبيرة، وهو ما يطلق عليه في زماننا "تسونامي".

¹ - الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ج3، ص32.

² - المصدر نفسه، ج3، ص76.

³ - المصدر نفسه، ج 3، ص 123.

5- أن ستة من زلازل بلاد المغرب قد توالى وتعاقت، في هزات ارتدادية، وقد استمر بعضها يتوالى لأكثر من شهر، وأن بعض هذه الهزات الارتدادية كان أشد من الزلزلة الأولى مثلما حدث سنة (1169هـ= 1755م).

6- أن كثيراً من الزلازل التي ضربت بلاد المغرب قد ضربت في الوقت نفسه بلداناً مجاورة أو بعيدة، كمصر والأندلس والشام والقسطنطينية والعراق وخراسان، وكانت مدمرة أحياناً في تلك البلدان، مما يدل على أن مراكز بعضها كان خارج بلاد المغرب.

7- أن ثلاثة من الزلازل التي هزت بلاد المغرب قد رافقها أو سبقها أصوات عالية عبّر عنها المؤرخون بصيغ مختلفة، فقال الذهبي عن زلزال سنة (245هـ= 859م): "وسمع من السماء أصوات هائلة"⁽¹⁾، وقال ابن الأثير عن زلزال سنة (267هـ= 881م): "كان قبلها هدة عظيمة قوية"⁽²⁾، وقال ابن أبيك عن زلزال سنة (702هـ= 1302م): "وكان لها دوي كدوي الرعد"⁽³⁾.

8- أن الخليفة المتوكل قد تعاطف مع المتضررين من زلزال سنة (245هـ= 859م) فقام بتوزيع ثلاثة ملايين درهم عليهم، مما يشير إلى درجة عالية من التحضر والشعور بالمسؤولية عند بعض السلطات الحاكمة، وهو ما لا يحدث في زماننا في كثير من دول العالم التي يبقى فيها المتضررون من الكوارث الطبيعية سنوات طويلة يعيشون مشردين في الخيام.

9- أن الزلازل في بلدان المغرب قد خلفت آثاراً نفسية واقتصادية سلبية على السكان، وأثرت في مختلف جوانب حياتهم.

¹ - تاريخ الإسلام، ج 18، ص 14.

² - الكامل في التاريخ، ج 6، ص 307.

³ - كنز الدرر، ج 9، ص 100-102.

الخاتمة ونتائج البحث:

تم بحمد الله تعالى الانتهاء من هذا البحث، وقد توصل الباحث من خلاله إلى نتائج عديدة أهمها:

- أن بلاد المغرب تعرضت خلال الثلاثة عشر قرناً الهجرية الأولى إلى سبعة وعشرين زلزلة.
- أن خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات الخاصة والعامة قد حلت بسكان بلاد المغرب نتيجة للزلازل.
- أن عدداً من زلازل المغرب قد نتج عنها خسف ابتلع بعض القرى بسكانها.
- أن ظواهر طبيعية قد سبقت وأعقبت بعض زلازل المغرب حسب ملاحظات عدد من المؤرخين.
- أن كثيراً من زلازل المغرب كان يعقبها هزات ارتدادية، وأن بعض هذه الهزات كانت تستمر مدداً طويلة، وأن بعضها كان أشد من الزلزلة الأولى.
- أن عدداً من الزلازل التي ضربت المغرب كانت تضرب في الوقت نفسه مناطق مجاورة وبعيدة تصل إلى خراسان والقسطنطينية.
- أن مدينة سلا المغربية قد شهدت نتيجة زلزلة سنة (1169هـ = 1755م) حالة تسونامي، إذ تراجعت مياه البحر مسافة بعيدة ثم اندفعت بقوة نحو اليابسة متسببة في خسائر بشرية ومادية فادحة.

زلازل الأندلس في المصادر الإسلامية¹

(ق3-ق9هـ = ق9-ق15م)

¹ - محكم ومنشور في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة قناة السويس- العدد الأول-2010م.

ملخص البحث باللغة العربية

يتناول البحث الزلازل التي ضربت الأندلس من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي إلى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وقد تبين للباحث بعد البحث في مصادرنا الإسلامية أن الأندلس قد تعرضت خلال مدة الدراسة إلى ثمانية زلازل، خمسة منها نجم عنها خسائر مادية فقط، وثلاثة أخرى تسببت بخسائر بشرية ومادية فادحة.

كما تبين أن بعضاً من زلازل الأندلس قد سبقها وأعقبها ظواهر طبيعية، كالأصوات العالية والصواعق، إضافة إلى أنه قد أعقب عدداً منها هزات ارتدادية استمرت مدة طويلة، وصلت بعد إحدى زلازل الأندلس إلى ثلاثة أعوام، وأن كثيراً منها كان يهز في الوقت نفسه بلداناً مجاورة وبعيدة.

Abstract

This research deals earthquakes which occurred in andaluss between the ninth and the fifteenth century A.D.

After researching in Islamic sources, the researcher found that 8 earthquakes stroke andaluss during research time, five of them caused materiality damages, but only three caused human and materiality damages.

The researcher found too that many natural phenomenon occurred after or before some of Andalus's earthquakes as high voices and bolts.

And many regressive quakes had occurred after many of earthquakes, and continued for long time, some of them continued for three years.

Some of Andalus's earthquakes stroke neighbor and far countries in the same time.

البحث:

أول زلزلة وقعت في الأندلس، وسجلتها مصادرنا الإسلامية، كانت يوم الخميس (22- شوال - 267هـ = 26-5-881م)، وقد تحدث عنها عدد من المؤرخين بإسهاب، فقال ابن أبي زرع: "كانت زلزلة عظيمة، ما سمع الناس بمثلها قبلها، تهدمت منها القصور، وانحطت منها الصخور والجبال، وهرب الناس من المدن إلى البرية، من شدة اضطراب الأرض، وتساقط السقوف، والحيطان، والدور، وفرت الطيور عن أوكارها وفراخها، وماجت في الهواء زماناً، حتى سكنت الزلزلة، وعمت هذه الرجفة بلاد العدو، وطنجة، إلى تلمسان، وجميع بلاد الأندلس، سهولها، وجبالها، من البحر الشامي، إلى أقصى المغرب، إلا أنه لم يمت فيها أحد لطفاً من الله تعالى بخلقه"⁽¹⁾.

وقال ابن عذاري: "زلزلت الأرض بقرطبة زلزالاً شديداً، وهاجت ريح عند صلاة المغرب؛ فأثارت سحباً فيه ظلمات ورعد وبرق؛ فصعق ستة نفر، وانقلبوا على ظهورهم، مات اثنان، وخر جميع الناس سجداً إلا الإمام، فإنه ثبت قائماً؛ وكان الرجلان اللذان ماتا أقرب الناس إلى الإمام؛ فاحترق شعر أحدهما واسود وجهه، وشقه الأيسر؛ والآخر ظهر بشقه الأيمن سواد، والأربعة الصرعى مكثوا حتى فرغ الإمام، فسئلوا عما أحسّوا، فقالوا: أحسنا نارا كأنها الموج الثقيل، ووجد أهل المسجد رائحة النار، ولم يوجد للصاعقة أثر في سقف ولا حائط، واهتزت لهذا الزلزال القصور والجبال، وهرب الناس إلى الصحارى، ضارعين إلى الله تعالى، وعم هذا الزلزال من البحر الشامي إلى آخر الجوف، وإلى آخر أرض الشرك، لم يختلف في ذلك مختلف"⁽²⁾.

¹ - الأنييس المطرب، ص97.

² - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، ص 184.

وأشار ابن الأثير إليها فقال: " وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام، ومصر، وبلاد الجزيرة، وإفريقية، والأندلس، وكان قبلها هدة عظيمة قوية"⁽¹⁾.

وقال الناصري: "وعمت هذه الرجفة جميع بلاد الأندلس، سهلها، وجبالها، وجميع بلاد العدو، من تلمسان إلى طنجة، ومن البحر الرومي إلى أقصى المغرب، إلا أنها لم يمت فيها أحد، لطفاً من الله تعالى بخلقه"⁽²⁾.

وفي ليلة الاثنين (9 - ذي القعدة - 332هـ = 3-7-944م) " كانت زلزلة عظيمة بقرطبة، ليلة الاثنين، لتسع خلون من ذي القعدة، فلم ير قطّ مثلها، ولا سُمع من قوتها، ووقعت بعد العشاء الآخرة، فدامت ساعة، ففرح أهل قرطبة لها فرحاً شديداً، ولجئوا إلى المساجد فيها، وضجوا بالدعاء إلى الله تعالى في كشفها، حتى أغاثهم وصرفها عنهم، وفي صبح ليلة الزلزلة، هبت ريح عاصف ردفنها أخرى، فاقتلعا كثيراً من شجر الزيتون، والتين، وغيرهما من الأشجار والنخيل، وأطارا كثيراً من قرمد السقف، ونزل إثر ذلك مطر وابل طبق الأرض، وبرد غليظ، فقتل كثيراً من الوحش والطير والمواشي، وأتلف ما أصاب من الزرع، وأساء التأثير"⁽³⁾.

وفي (1- محرم - 415هـ = 15-3-1024م) " كانت الزلزلة العظيمة ببلاد الأندلس، التي هددت الجبال، واضطربت بها الأرض، وهُدمت الديار من شدتها"⁴، لكن ليس لدينا أية معلومات عن خسائر نجمت عن هذه الزلزلة.

¹ - الكامل في التاريخ، ج 3، ص 317.

² - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 1، ص 236 - 237.

³ - ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، ص 234.

⁴ - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 118.

وفي سنة (440هـ = 1048م) " ترادفت الزلازل في حومة تدمير، بمدينة أوريولة⁽¹⁾، وبمدينة مرسية، وما بينهما، وذلك بعد الأربعين وأربعمائة من الهجرة، وتمادى ذلك بهم نحو عام، كل يوم مراراً كثيرة، لا تخطيء من ذلك يوماً ولا ليلة، إلى أن تهدمت الدور، ووقعت الصوامع وكلّ بنيان عال، وانهدم جامع أوريولة مع صومعته، وانشقت الأرض في كل ناحية من الحومة، وغارت أعين كثيرة، وحدث في بعضها ما له رائحة منتنة"⁽²⁾.

وفي (جمادى الأولى - 565هـ = يناير - 1170م) هزت مدينة أندوجر⁽³⁾، زلازل عظيمة، بدأت بزلزلة عند طلوع الشمس، وبأخرى عند زوالها في الظهر، وتوالت عليها أياماً، حتى كادت تغوص في الأرض، ثم انتقل التزلزل إلى قرطبة وغرناطة وأشبيلية وجميع الأندلس "فكان الرأي بعينه يرى حيطان الديار تضطرب وتميل حتى تصل إلى الأرض، ثم ترتفع وترجع على حالها، بلطف الله تعالى، وتهدمت من ذلك مواضع ديار كثيرة في البلاد المذكورة، وصوامع مساجد"⁽⁴⁾.

وفي سنة (566هـ = 1171م) تعرضت قرطبة لزلزلة تبعثها سلسلة من الزلازل الارتدادية، "وتمادت الزلازل بقرطبة نحو العام شداداً، ولم تنقطع إلا بعد ثلاثة أعوام أو نحوها، وقتلت الزلزلة الأولى ناساً كثيراً بالهدم، وزعموا أن الأرض انشقت بالقرب من قرطبة، بموضع يعرف بأندوجر، فخرج منها شبه رماد أو رمل، ومن شاهدها وقع له اليقين بها، وكانت عامة في الجهة الغربية

¹ - أوريولة: بالضم، ثم السكون، وكسر الراء وياء مضمومة، ولام وهاء، مدينة قديمة من أعمال الأندلس من ناحية تدمير. معجم البلدان ج1، ص280.

² - العذري، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع وتنويع الآثار، ص8.

³ - أندوجر: حصن قريب من قرطبة. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص561.

⁴ - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص397.

من هذه الجزيرة، إلا أنها بقرطبة ونواحيها أشد، وكانت بقرطبة شرقاً أخف من قرطبة غرباً⁽¹⁾.

وفي أثناء وصفه لأحداث هذه الزلزلة يقدم ابن رشد ملاحظاته حول الظواهر الطبيعية التي تسبق حدوث الزلازل، ويفسر أسباب وقوعها، فيقول: "ومن شاهد الزلزلة الحادثة بقرطبة وجهاتها عام ست وستين وخمسمائة للهجرة، وقع له اليقين بذلك، لكثرة ما عرض هنالك من الأصوات والدوي، ولم أكن حينئذ بقرطبة، ولكنني وصلت إليها، بعد فسمعت أصواتاً تتقدم حدوث الزلزلة، وشعر الناس أن ذلك الصوت يأتي من جهة المغرب، ورأيت الزلزلة تتولد عند نشأة الريح الغربي كثيراً⁽²⁾".

وفي يوم السبت (1 شوال 830هـ = 26-7-1427م) تعرضت مدينة بلنسية التي تغلب عليها الفرنج إلى خسف، شمل المناطق المحيطة بها، على مسافة نحو ثلاثمائة ميل، فهلك بها من النصارى خلائق كثيرة، وأن مدينة برشلونة زلزلت زلزالاً شديداً، ونزلت بها صاعقة، فهلك بها أمم كثيرة، وخرج ملكها فيمن بقي، فارين إلى ظاهرها، فوقع بهم وباء كبير⁽³⁾.

وفي يوم الاثنين (11 شعبان - 834هـ = 24-4-1431م) هزت الأندلس "زلزلة هدم بها من الأمكنة شيء كثير"⁽⁴⁾.

ويتحدث المقرئزي بإسهاب عن هذه الزلزلة فيقول: "كانت زلزلة عظيمة شديدة، بعد صلاة الظهر، بجزيرة الأندلس، وبمرج أغرناطة، سقطت بها أبنية كثيرة على سكانها فهلكوا، وخسف بثلاث بلاد كبيرة في مرج أغرناطة - وهي

¹ - ابن رشد، تلخيص الآثار العلوية، ص 44.

² - ابن رشد، تلخيص الآثار العلوية، ص 44.

³ - المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ص 309.

⁴ - ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ج 8، ص 236.

بلد همدان⁽¹⁾، وبلد أوطورة⁽²⁾، وبلد دارما⁽³⁾ - فابتلعت الأرض هذه البلاد بأناسها وبقرها وغنمها وسائر ما فيها، حتى صار من يمر من حولها يقول: كان هنا بلد كذا، وبلد كذا، وانخسف في كثير من البلاد عدة مواضع، وسقط نصف قلعة أغرناطة، وتهدم كثير من الجامع الأعظم، وسقط أعلى منارته، ورؤي حائط الجامع يرتفع ثم يرجع، ومقدار ارتفاعه نحو عشرة أذرع، ارتفع كذلك مرتين، وخاف رجل عند حدوث الزلزلة، فأخذ ابنه، وأراد أن يخرج من باب داره، فالتصق جانباً الباب، وانفجر الحائط، فخرج من ذلك الفرج هو وابنه وامرأته، فعاد الحائط كما كان، وتراجع جانباً الباب إلى حالهما قبل الزلزلة، وأقامت الأرض بعد ذلك نحو خمسة وأربعين يوماً تهتز، حتى خرج الناس إلى الصحراء، ونزلوا في الخيم، خوفاً من المدينة أن تسقط مبانيها عليهم⁽⁴⁾، وبلغ عدد من قتلوا في هذه الزلزلة أكثر من ستة آلاف إنسان، وقد أطمعت هذه الخسائر البشرية - إضافة إلى عوامل أخرى - ألفنشي ملك قشتالة في غزو مملكة غرناطة وضمها إلى مملكته، لكنه لم ينجح بسبب استتسار المسلمين في التصدي له⁽⁵⁾.

ويتحدث المقرئ عن هذه الزلزلة في كتاب آخر فيقول: "خسف بثلاث بلاد كبيرة من جزيرة الأندلس، وذلك أنه كانت زلزلة شديدة بمرج غرناطة،

¹ - همدان: قرية كبيرة في نطاق غرناطة نزلها همدان. ابن سعيد، المغرب، ج2، ص127.

² - لم أجد لها ذكراً في المعاجم الجغرافية، ويبدو أنها إحدى بلدات غرناطة .

³ - لم أجد تعريفاً لها في معاجم البلدان، ويبدو أنها اسم لقبيلة عربية سكنت منطقة غرناطة، وأطلق اسمها على مكان سكناها، مثلما أطلق اسم همدان على المكان الذي سكنت فيه. إذ يقول الفرزدق:

أتعدل دارما ببني كليب: وتعدل بالمفقتة الشعابا. ينظر: لسان العرب ج1/ص124.

⁴ - السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ص 347.

⁵ - المصدر نفسه، ج 3، ص 347.

سقط بها مباني كثيرة جداً على سكانها، فهلكوا بأجمعهم، وابتلعت الأرض البلاد الثلاثة بأناسها وحيوانها، وهي همدان ولورة⁽¹⁾ ودارما، وخسف أيضاً بعدة مواضع من البلاد المجاورة، وأقامت الأرض عندهم بعد ذلك خمسة وأربعون يوماً تنزل حتى سكن الناس الصخر⁽²⁾.

ومن الواضح أن تلك الزلازل قد أثرت كثيراً في حياة سكان الأندلس، ويمكن تصنيف تلك التأثيرات إلى ما يأتي:

أولاً: التأثيرات الاقتصادية:

عند التأمل في الروايات التاريخية التي تحدثت عن زلازل الأندلس، يلاحظ أنه قد نجم عنها خسائر اقتصادية فادحة، تمثلت فيما يأتي:

- 1- تهدم عدد كبير من المنازل والقصور⁽³⁾، ولاشك أن الخسائر المادية الناجمة عن ذلك الهدم كبيرة، لأن أهل الأندلس كانوا يتمتعون كثيراً في بناء قصورهم ومنازلهم، ومساجدهم، وبيالغون في الإنفاق عليها، وعلى تأثيثها وتزيينها⁽⁴⁾، وهي محل مدخراتهم، ودمارها يعني ضياع معظم أموالهم.
- 2- إصابة العديد من المدن العامرة كقرطبة⁽⁵⁾، وغرناطة⁽⁶⁾، وأوريولة⁽⁷⁾، وبلنسية⁽⁸⁾، بالزلازل المدمرة، ولا شك أن الخسائر المادية في مساكن المدن ومنشآتها تكون أكبر من خسائر القرى والبادي بكثير.

¹ - لورة: أحد الحصون العامرة التي تشبه المدن تابعة لإقليم أشونة. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ج2، ص537.

² - إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ج 12، ص 380.

³ - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص97، 118؛ العذري، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع وتنويع الآثار، ص8.

⁴ - يُنظر: زيارة، الترف في المجتمع الأندلسي، ص126-140.

⁵ - ابن رشد، تلخيص الآثار العلوية، ص44.

⁶ - السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ص 347.

⁷ - العذري، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع وتنويع الآثار، ص8.

⁸ - المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ص 309.

3- أن الدمار الناجم عن زلازل الأندلس لم يقتصر على القصور والبيوت، بل لا بد أنه طال المصانع والمزارع والمنشآت الاقتصادية، ولا شك أن في دمارها خسائر فادحة تحل بأصحابها، وآثار اقتصادية سلبية تعود على أهل الأندلس.

4- لم تقتصر خسائر الدمار على بيوت ومنشآت مدمرة، بل لقد تجاوز ذلك إلى مدن وقرى خسف بها، وابتلعتها الأرض، بكل ما عليها من إنسان، وحيوان، وعمران، مثلما حدث في مرج غرناطة في (11- شعبان- 834هـ = 1431-4-24م)⁽¹⁾، ولا شك بفداحة الخسائر الناجمة عن ذلك الخسف.

5- هروب كثير من الأندلسيين إلى البراري، ولا شك أن ذلك يعطل عجلة الاقتصاد، إذ يتوقف إنتاج الهاربين الذين تركوا مزارعهم ومصانعهم وأعمالهم، ومن المرجح أن مدة هجران الناس لأعمالهم وهروبهم في البراري، كانت طويلة، لأن بعض زلازل الأندلس كانت تتوالى مدة طويلة، مثلما حدث في الزلزال الذي ضرب تدمير سنة (440هـ = 1048م)، وظل يتوالى كل يوم على مدى عام⁽²⁾، والزلزال الذي هز غرناطة في (11- شعبان- 834هـ = 1431-4-24م)، الذي هرب الناس بسببه إلى البراري، واستمر نحو خمسة وأربعين يوماً⁽³⁾.

¹ - ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ج 8، ص 236.

² - العذري، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع وتنويع الآثار، ص 8.

³ - إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ج 12، ص 380.

6- موت آلاف الأندلسيين في وقت واحد ومن مدينة واحدة بسبب الزلازل⁽¹⁾، أثر سلباً على الاقتصاد، لأن كثيراً من هؤلاء هم من الصناع أو المزارعين أو العمال الذين يشاركون في الإنتاج والتقدم الاقتصادي.

7- نضوب المياه من عدد كبير من الآبار نتيجة لبعض زلازل الأندلس²، لا بد أنه أثر سلباً على الاقتصاد الأندلسي، لأنه يعيق النمو الزراعي، ويضعف قطاع الإنتاج الحيواني، ويجعل حياة الناس المعول عليهم في إدارة عجلة الاقتصاد صعبة.

8- لم ترد إشارات إلى قيام السلطة في الأندلس بتقديم المساعدات المادية لإغاثة المنكوبين بالزلازل، أو تعويضهم عن خسائرهم، لكننا نرجح أن ذلك قد حدث، فقد وردت إشارات تدل على أن التعويض قد حدث في المغرب سنة (245هـ=859م) عندما هزت بلاد المغرب زلزلة أدت إلى تدمير الحصون والمنازل والقناطر؛ فأمر المتوكل بتفرقة ثلاثة آلاف ألف درهم في الذين أصيبوا بمنزلهم³، ولا بد أن ذلك كان عرفاً سائداً في ذلك الزمان، لكن التعويض في العادة يرهق ميزانية الدولة، ومهما كبر لا يغطي حاجة المنكوبين، لذلك نجد الدول في زماننا - وحتى الغنية منها - تطلب المساعدة عندما تضربها الزلازل، فتهب الكثير من دول العالم لمساعدتها.

ثانياً: التأثيرات الاجتماعية:

لم ترد في الروايات التي تحدثت عن زلازل الأندلس إشارات مباشرة إلى تأثيرات اجتماعية للزلازل في المجتمع الأندلسي، ولكن يمكن استنتاجها، وهي حسب رأي الباحث تتلخص فيما يأتي:-

¹ - المصدر نفسه، ج 3، ص 347.

² - العزري، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع وتنويع الآثار، ص 8.

³ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 5، ص 281 - 282.

- 1- تحول عدد كبير من السكان وخصوصاً ممن هدمت منازلهم أو منشآتهم الاقتصادية من أغنياء أو متوسطي الحال إلى فقراء، لا يجدون مساكن تؤويهم، أو أماكن يرتزقون منها⁽¹⁾، لأن الإنسان عادة لا يتمكن من امتلاك مسكن أو منشأة اقتصادية في مدينة متحضرة كمدن الأندلس إلا بإتفاق جزء كبير من مدخراته، وليس من السهل أن يعود إلى عهده الأول، إذا ما دمر بيته، أو فقد منشآته الاقتصادية، وإذا عاد فإنه على الأغلب يحتاج إلى مال كثير، ووقت طويل.
- 2- الموت الجماعي لعشرات الألوف من السكان بسبب الزلازل⁽²⁾، حول أعداداً كبيرة من أطفال الأندلس الذين فقدوا آباءهم إلى أيتام، والنساء اللاتي فقدن أزواجهن إلى أرامل، ولا شك أنه فجع من تبقى من الآباء بأبنائهم، أو بزوجاتهم الذين هلكوا بسبب الزلازل.
- 3- لا بد أن تهدم المساجد والمدارس ودور العلم، وموت العلماء نتيجة لوقوع الزلازل قد أثر سلباً على الحركة العلمية، وخصوصاً في المدن الأندلسية، التي بينت الروايات أن هدماً وموتاً كثيراً قد حل ببيوتها وسكانها.
- 4- وقوع الأوبئة والأمراض نتيجة لكثرة الجثث البشرية والحيوانية المتعفنة، مثلما حدث بعد زلزال (1- شوال - 830هـ = 1427-7-26م) في برشلونة الذي هلك بها أمم كثيرة، فوقع بهم وباء كبير⁽³⁾.
- 5- إن كثرة القتلى، وما ينجم عن الزلازل من دمار وفوضى، يطمع الأعداء في استغلال ذلك لمحاربة المسلمين، وهذا ما حدث بعد زلزال غرناطة الذي وقع في (11- شعبان - 834هـ = 1431-4-24م)، وبلغ عدد من

¹ - السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ص 347.

² - المصدر نفسه، ج 3، ص 347.

³ - المصدر نفسه، ج 3، ص 309.

قتلوا فيه أكثر من ستة آلاف إنسان، فقد أطمعت هذه الخسائر البشرية- إضافة إلى عوامل أخرى- ألفنشي ملك قشتالة في غزو مملكة غرناطة، وضمها إلى مملكته، لكنه لم ينجح بسبب استبسال المسلمين في التصدي له⁽¹⁾.

6- من المؤكد أن الكوارث الطبيعية الجسيمة التي لا دخل للإنسان فيها، ولا تقع إلا بقدر الله تعالى، وتتسبب في دمار كبير، وموت كثير، تزيد من العلاقة الحسنة بالله تعالى، إذ يزداد الدعاء والتضرع، والعبادة، ويقلع كثير من العصاة عن معاصيهم، ويكثر عدد المستقيمين الصالحين، فكم من عابد صالح قد سلك هذا الطريق بعد حادثة مؤثرة نقلته من المعاصي إلى الطاعات، "وهرب الناس إلى الصحارى، ضارعين إلى الله تعال"⁽²⁾، ولا شك أن لذلك التحول الإيماني السلوكي أثره في المجتمع.

ثالثاً: التأثيرات النفسية:

ويمكن استخلاص التأثيرات النفسية التي حلت بالأندلسيين من الروايات التي تناولت زلازل الأندلس، وهي حسب رأي الباحث:

- 1- الحزن والأسى لموت أقربائهم وأحبائهم، ويبلغ الحزن مدى كبيراً عندما يفجع الإنسان بموت كل أو معظم أفراد أسرته، وهذه حالات تحدث كثيراً بسبب الكوارث الطبيعية وعلى رأسها الزلازل.
- 2- الخوف الشديد والقلق، فالإنسان مفطور على حب الحياة والسلامة، والخوف من الموت والأذى، ومن يرى نتائج الزلزال، ويشاهد الدمار والموت الجماعي لأعداد كبيرة من البشر، يخشى على نفسه، وأحبائه، وممتلكاته، فيحمل ما على ثمنه، وخف وزنه، ويهرب إلى البر الأكثر

¹ - السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ص 347.

² - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، ص 184.

أماناً، إذ لا بنيان يمكن أن يقع فوق رأسه، ورؤوس أبنائه، إذا ما تزلزلت الأرض، وهذا ما حدث في كل زلازل الأندلس كزلال (22- شوال- 267هـ = 26-5-881م)، الذي ضرب معظم الأندلس، إذ هرب الناس إلى الصحارى⁽¹⁾، وزلال (9- ذي القعدة- 332هـ = 3-7-944م) الذي هز قرطبة، ففزع أهلها فزعاً شديداً، ولجئوا إلى المساجد فيها، وضجوا بالدعاء إلى الله تعالى في كشفها⁽²⁾.

وعند التأمل في الزلازل التي هزت الأندلس خلال مدة الدراسة يلاحظ ما يلي:

- 1- أن مصادرنا الإسلامية قد بينت أن الأندلس تعرضت منذ فتحها في أواخر القرن الأول الهجري/ الثامن الميلادي، وحتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي إلى ثمانية زلازل.
- 2- أن أول زلزلة ضربت الأندلس في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، كانت سنة (267هـ = 881م).
- 3- أن خمسة من زلازل الأندلس التي وصفت بالشدة والعظمة والتي نتجت عنها أضرار مادية كبيرة وهدم، لم تؤد حسب مصادرنا إلى خسائر بشرية، وقد صرح بذلك بعض المؤرخين.
- 4- أن ثلاثة من زلازل الأندلس قد نجم عنها خسائر بشرية ومادية كبيرة، وأن زلزلتين منها قد نتج عنهما خسف انشقت فيه الأرض، وابتلعت قرى بأهلها.
- 5- أن زلزلة واحدة فقط من زلازل الأندلس قد وصفت باليسيرة، حتى أن النيام لم يشعروا بها.

¹ - الأنيس المطرب، ص 97.

² - ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، ص 234.

6- أن أربعة من زلازل الأندلس المدمرة كان يعقبها هزات ارتدادية قوية، وأنها كانت تتوالى مدة طويلة، تراوحت بين 45 يوماً وثلاثة أعوام، مثلما حصل في زلزال سنة (566هـ = 1161م) الذي وصفه ابن رشد فقال: "وتمادت الزلازل بقرطبة نحو العام شداداً، ولم تنقطع إلا بعد ثلاثة أعوام أو نحوها"⁽¹⁾، وزلزال سنة (440هـ = 1048م) الذي وصفه العذري فقال: "وتمادى ذلك بهم نحو عام، كل يوم مراراً كثيرة، لا تخطيء من ذلك يوماً ولا ليلة، إلى أن تهدمت الدور"⁽²⁾.

7- أن مؤرخينا قد لاحظوا حصول ظواهر طبيعية توافقت مع حدوث الزلازل، فقد أعقب زلزلة سنة (267هـ = 881م) ريح شديدة، ثم صاعقة محرقة⁽³⁾، "وكان قبلها هدة عظيمة قوية"⁽⁴⁾. وقد سجل ابن عذاري أنه بعد ساعات من زلزلة سنة (332هـ = 944م) هبت ريح عاصفة، اقتلعت الأشجار، وأن برداً غليظاً قد هطل إثر هذه الرياح أدى إلى هلاك كثير من الوحوش والطيور والزورع⁽⁵⁾، ولاحظ المقرئ أن صاعقة أعقبت زلزال سنة (830هـ = 1427م)، أدت إلى هلاك أمم كثيرة⁽⁶⁾، وقال ابن رشد في وصف زلزلة سنة (566هـ = 1171م): "فسمعت أصواتاً تتقدم حدوث الزلزلة، وشعر الناس أن ذلك الصوت يأتي من جهة المغرب، ورأيت الزلزلة تتولد عند نشأة الريح الغربي كثيراً"⁽⁷⁾.

¹ - تلخيص الآثار العلوية، ص44.

² - نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، ص8.

³ - ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، ص 184.

⁴ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 317.

⁵ - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، ص 234.

⁶ - السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ص 309.

⁷ - تلخيص الآثار العلوية، ص44.

الخاتمة ونتائج البحث:

تم بحمد الله تعالى الانتهاء من هذا البحث، وقد توصل الباحث من خلاله إلى نتائج عديدة أهمها:

- أن الأندلس تعرضت خلال مدة الدراسة البالغة ستة قرون إلى ثمانية زلازل فقط.
- أن خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات الخاصة والعامة قد حلت بسكان الأندلس نتيجة للزلازل.
- أن عدداً من زلازل الأندلس قد نتج عنها خسف ابتلع بعض القرى بسكانها.
- أن ظواهر طبيعية قد سبقت وأعقبت بعض زلازل الأندلس، حسب ملاحظات عدد من المؤرخين.
- أن كثيراً من زلازل الأندلس كان يعقبها هزات ارتدادية، وأن بعض هذه الهزات كانت تستمر مدداً طويلة، وصلت في الأندلس سنة (566هـ = 1171م) إلى ثلاثة أعوام، وأن بعضها كان أشد من الزلزلة الأولى.
- أن عدداً من الزلازل التي ضربت الأندلس كانت تضرب في الوقت نفسه مناطق مجاورة وبعيدة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات:

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ=1505م).
1- كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، نسخة المكتبة الأزهرية، مخطوطة:
رقم (2491 عام) (130 خاص) (موقع المحجة العلمية
السلفية، www.mahaja.com).

ثانياً: المصادر العربية:

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم
الشيباني (ت: 630هـ).
1- الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية،
ط2، 1415هـ.
الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني (ت:
560هـ=1165م)
2- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1409هـ=
1989م.
ابن أبيك، أبي بكر بن عبد الله بن أبيك الدوداري.
3- كنز الدرر وجامع الغرر، 9 أجزاء، نشر وتحقيق قسم الدراسات
الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة، صدر في الفترة من 1961-
1992م، وقد استخدم الباحثان الأجزاء 6 و7.
البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (ت: 256هـ).
4- صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير،
اليمامة، ط3، 1407هـ/1987م.

- البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت: 487هـ).
- 5- معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا، بيروت، عالم الكتب، ط3، 1403هـ.
- الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي السلمي، (ت: 279هـ).
- 6- سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي، (ت: 874هـ).
- 7- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، د.ت.
- الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن (ت: 1241هـ).
- 8- تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، (3ج)، بيروت، دار الجيل، د.ت.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج (ت: 597هـ=1202م).
- 9- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (ت: 597هـ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، ط1 دار الكتب العلمية، 1412هـ 1992م).
- 10- تلقيح فهوم الأثر، بيروت، شركة دار الأرقم، ط1، 1997م.
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي (ت: 773هـ=852هـ).
- 11- إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1406 هـ - 1986 م (عدد الأجزاء 9).

- 12- تلخيص الحبير، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني، المدينة المنورة، 1384هـ/1964م.
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت 463=1069م).
- 13- تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (808هـ).
- 14- تاريخ ابن خلدون، بيروت، دار القلم، ط5، 1984م.
- ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (ت: 681هـ).
- 15- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، (8ج)، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1968.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، (ت: 275هـ).
- 16- سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (4 أجزاء)، بيروت، دار الفكر، د.ت.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (ت: 748هـ).
- 17- العبر في خير من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1948م.
- 18- سير أعلام النبلاء، 23ج، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط9، 1413هـ.
- 19- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، 1407هـ - 1987م.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (721هـ=1321م).
- 20- مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان، 1415هـ=1995م.

- 21- ابن الراهب، أبو شاعر بطرس بن أبي الكرم بن المذهب (ت681هـ=1282م).
- 22- تاريخ ابن الراهب، نشره لويس شيخو، بيروت، 1903م.
- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن رشد الحفيد (ت595هـ=1198م).
- 23- تلخيص الآثار العلوية، تقديم وتحقيق: جمال الدين العلوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.
- ابن أبي زرع، عبد الله بن محمد بن يوسف الفاسي (ت:741هـ=1341م).
- 24- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، حرره وعلق عليه: محمد الهاشمي الفلاحي، المغرب، الرباط، المطبعة الوطنية، 1355هـ=1936م.
- السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي (ت:771هـ).
- 25- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناجي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، ط2، 1413هـ.
- السخاوي، شمس الدين.
- 26- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1.
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، (ت: 230هـ).
- 27- الطبقات الكبرى، القسم المتمم، تحقيق: زياد محمد منصور، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط2، 1408هـ.
- 28- تكملة الطبقات الكبرى، (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة)، تحقيق: زياد محمد منصور، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط2، 1408هـ.

ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك (ت: 685هـ=1286م).

29- المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ط3، 1955م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ).

30- تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، ط1، 1371هـ - 1952م.

31- تاريخ الخلفاء، خرج أحاديثه: أحمد بن شعبان بن أحمد ، ط1، مكتبة الصفا ، 1426هـ-2005م.

أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي، أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي(ت665هـ = 1286م).

32- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، وضع حواشيه وعلق عليه: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية ، 1422هـ-2002م.

33- كتاب الروضتين في اختبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2، تحقيق: إبراهيم الزبيق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1997.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك.

34- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، 1420هـ/2000م.

الصنعاني، عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الإله بن أحمد.

35- تاريخ اليمن، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، بيروت، دار المسيرة، 1405هـ/1985م.

الضعيف، محمد بن عبد السلام.

- 36- تاريخ الضعيف، تحقيق: أحمد الغماري، الرباط، ط1، 1986م.
- الطبري، محمد بن جرير (ت:310هـ).
- 37- تاريخ الرسل والملوك، بيروت، دار الكتب العلمية.
- العاصمي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي المكي (ت:1111هـ).
- 38- سمط النجوم العوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، 1419هـ/1998م.
- عبد اللطيف البغدادي، موفق الدين الشهير بابن اللباد (ت 629 هـ = 1231 م).
- 39- الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، مطبعة وادي النيل، ط1، 1286هـ.
- ابن العبري، غريغوريوس بن اهرن الملطي (ت 685 هـ = 1286م).
- 40- تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، 1418هـ-1997م.
- العجلوني، أبي الفداء إسماعيل بن محمد (ت1162هـ = 1748م).
- 41- تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة، تحقيق: سفيان بن عايش بن محمد، دار ابن الجوزي، ط1، الأردن، 1425هـ.
- ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم (ت: 660هـ = 1261م).
- 42- زبدة الحلب في تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، 1417هـ-1996م.
- ابن عذاري، أبو عبد الله محمد المراكشي (ت: بعد 712هـ = 1312م).
- 43- البيان المغرب في أخبار أهل الأندلس والمغرب (المكتبة الشاملة).
- العذري، أحمد بن أنس العذري المعروف بالدلائلي (ت: بعد 712هـ = 1175م).

- 44- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1965م.
- ابن عساكر، علي بن حسين بن هبة الله (ت: 571هـ).
- 45- تاريخ مدينة دمشق، (70ج)، تحقيق: عمر بن غرامة العموري، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1990-1996م.
- العظيمي، محمد بن علي (ت: 556 هـ = 1161م).
- 46- تاريخ حلب، تحقيق: إبراهيم زعرور، دمشق، 1981م.
- العلمي، مجير الدين الحنبلي (927هـ).
- 47- الأنس الجليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، عمان، مكتبة دنديس، 1420هـ/1999م.
- ابن العماد، أبي الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت1098هـ = 1686م).
- 48- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، دمشق، دار بن كثير، ط1، 1406هـ.
- العمرى، ياسين بن خير الله (ت1224هـ = 1809م).
- 49- الآثار الجلية في الحوادث الأرضية، مخطوط -مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- المملكة العربية السعودية- الرياض- رقم الحفظ : ب22915-22917.
- 50- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، دار المثني، بغداد، 1963م.
- العيدروسي، عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت: 1037هـ).
- 51- النور السافر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1.
- 52- الفاكهي، محمد بن إسحاق بن العباس، (ت: 275هـ).

- 53- أخبار مكة للفاكهي، تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، بيروت، دار خضر، ط2، 1414هـ.
- ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (851 هـ = 1448م).
- 54- تاريخ ابن الفرات، المجلد الرابع، عني تحرير نصه ونشره: الدكتور حسن محمد الشماخ، جامعة البصرة، كلية الآداب. د. ت؛ المجلد الخامس، حوادث سنة 600-615، تحقيق وتعليق: الدكتور حسن محمد الشماخ، جامعة البصرة، 1390هـ - 1970م.
- 55- تاريخ ابن الفرات، تحقيق: قسطنطين زريق، منشورات كلية العلوم والآداب، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1936م.
- القسطنطيني، مصطفى بن عبد الله.
- 56- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1، بيروت، دار الكتب العلمية 1413هـ.
- ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي (ت 555 هـ = 1160م).
- 57- ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م.
- القلقشندي، أحمد بن عبد الله (821هـ = 1418م).
- 58- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج1، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1985م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: 774هـ).
- 59- البداية والنهاية، مكتبة المعارف.
- المزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج (ت: 742هـ).
- 60- تهذيب الكمال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1.

- المقدسي، محمد بن أحمد (ت: 380هـ=990م).
- 61- أحسن التقاسيم، تحقيق: غازي طليمات، دمشق، وزارة الثقافة، 1980.
- المقريري، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي (ت845هـ=1441م).
- 62- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ-1997م.
- 63- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ط1، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1420هـ=1997م.
- ناصر خسرو.
- 64- سفر نامه، تحقيق: د. يحيى الخشاب، بيروت، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط3، 1980م.
- الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد (ت1279هـ=1863م).
- 65- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1997م، ط1.
- النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت978هـ).
- 66- الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ.
- النويري الإسكندراني، محمد بن قاسم بن محمد.
- 67- الإمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمر المقضية في وقعة الإسكندرية، تحقيق: عزيز سوريال عطية، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، 1390هـ=1971م.
- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، (ت697هـ=1297م).

- 68- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: د جمال الدين الشيال، 1953م.
- اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (768هـ).
- 69- مرآة الجنان، القاهرة، دار الكتب الإسلامي، 1413هـ.
- ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، (ت: 626هـ).
- 70- معجم البلدان، (5 أجزاء)، بيروت، دار الفكر، د.ت.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت 284هـ = 897م).
- 71- البلدان، ط1، السلسلة الجغرافية 6، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1408هـ = 1988م.
- 72- تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر.

ثالثاً: الرسائل العلمية.

- أبو الرب، هاني.
- 1- تاريخ فلسطين في صدر الإسلام، دار الشروق، منشورات بيت المقدس، ط1، 2002م.
- زيارة، نادر فرج.
- 2- الترف في المجتمع الإسلامي الأندلسي (92-668هـ = 711-1269م)، رسالة ماجستير، إشراف: د. خالد يونس الخالدي، قسم التاريخ، الجامعة الإسلامية، 1431هـ = 2010م.

رابعاً: المراجع العربية:

- شامي، يحيى.
- 1- موسوعة المدن العربية والإسلامية، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1993م.
- الغنيم، عبد الله يوسف.

2- سجل الزلازل العربي أحداث الزلازل وأثرها في المصادر العربية،
نشر الجمعية الجغرافية الكويتية، جامعة الكويت، ط1 ، 2002م.
مصطفى وآخرون، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد
النجار .

3- المعجم الوسيط ،تحقيق : مجمع اللغة العربية، د.ت.

ثالثاً: المصادر الأجنبية المترجمة:

الصوري، وليم.

1- الحروب الصليبية (1094-1184م) أو الأعمال المنجزة فيما وراء البحار،
ترجمة: د.سهيل زكار، ط1، دار الفكر، 1410هـ-1990م.
ميخائيل السوري.

2- تاريخ ميخائيل السوري الكبير، ترجمة: د. سهيل زكار، منشور في
الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، ج 5، ص 87-309،
دمشق، دار الفكر، 1416هـ = 1995م.

رابعاً: الدوريات:

ألبرت، رمسيس ناشد حنا.

1- الزلازل وتأثيرها على الاقتصاد القومي في مصر ودور الشبكة القومية
لرصد الزلازل والتفجيرات الصناعية للحد من مخاطرها ، إدارة
الأزمات والكوارث البيئية في ظل المتغيرات والمستجدات العالمية
العصرية، المؤتمر السنوي العاشر ،الأبحاث وأوراق العمل، البحث
السابع، م 1، الفترة من 3 - 4- ديسمبر 2005م، كلية التجارة، وحدة
ا.د محمد رشاد الحماوي لبحوث الأزمات دار الضيافة ،جامعة عين
شمس، القاهرة .

خامساً: المراجع الأجنبية :

-Atiya, Aziz Suryal,

1- 1898. *Medieval and Middle Eastern studies*. Leiden: E. J. Brill, 1972.

Editorial, staff

2-Umayyads, *Encyclopedia judaica*, volume 15, (Jerusalem:1978)

Theophanes

3- The chronicle of theophanes; A.D. 602-813, An English Translation
by: Harry Turtledve, University of pennsylvavania press, (Pennsylvavania:
1964)

الفهرس

الصفحة	الموضوع
5	المقدمة
9	زلازل جزيرة العرب في المصادر الإسلامية
25	الزلازل في بلاد الشام
65	الزلازل في مصر
83	الزلازل في العراق
119	زلازل خراسان في المصادر الإسلامية
143	زلازل بلاد المغرب العربي في المصادر الإسلامية
163	زلازل الأندلس في المصادر الإسلامية
180	قائمة المصادر والمراجع